

نشأة بدع الصوفية

إعداد :

د. فهد بن سليمان الفهيد

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فإن طوائف التصوف التي انتشرت بين المسلمين ؛ قد أظهرت ألواناً من الانحراف والابتداع وتغيير الشريعة وتبديل الدين ، وكان لها من الأثر الكبير والخطر العظيم على عوام المسلمين حتى اعتقدوا أنهم لا يصلون إلى الله عز وجل إلا من هذه الطرق الصوفية المخترعة ، و لا يزال رؤساء هذه الطوائف الصوفية يدعون إلى باطلهم ويشبهون على الأغرار حتى فتن بهم خلق كثير ، وصدوهم عن سبيل الله تعالى .

لذا كان من المهم الحديث عن بدع هؤلاء وما أحدثوه في الإسلام : تأريخاً ونشأةً ، ونقضاً ورداً لهذه البدع ؛ وهذا هو سبب جمع هذه المادة العلمية التي اشتملت على مقدمة وأربعة فصول سيكون الكلام فيها على النحو الآتي :

الفصل الأول : في الصوفية وألقابها .

والفصل الثاني : في نشأة بدع التصوف ومراحلها .

الفصل الثالث : في أول بدع التصوف، من بعض عباد الكوفة ، وبعض عباد البصرة .

والفصل الرابع : في بذور التصوف الطرقي من القرن الثالث ، وخاتمة .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، نافعاً لعباده إنه جواد كريم ، وهو أكرم مسؤول ، وهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفصل الأول :

الصوفية وألقابها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف التصوف وألقاب الصوفية .

المبحث الثاني : نشأة التصوف .

المبحث الأول : تعريف التصوف وألقاب الصوفية:

للسوفية في تحديد معنى التصوف وبيان حقيقته أقوال لا تحصى كثرة ، تدور على المبالغة والدعاوى الجوفاء ، حتى قال بعضهم : «وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول»^(١) ، وقيل عن التصوف : إنه « قد حُدَّ ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين »^(٢) . وبعض الباحثين يبين أن هذه الكثرة ترجع إلى إشارات وتلميحات إلى حقيقة التصوف الباطلة ألا وهي القول بوحدة الوجود^(٣) .

ولكن أهل العلم بحثوا هذه المسألة من جهة الاشتقاق اللغوي ومن جهة المعنى المراد به فأما من جهة الاشتقاق اللغوي :

فالنسبة في " الصوفية " إلى الصوف ؛ لأنه غالب لباس الزهاد من المتقدمين ، هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم في المعنى الذي لأجله سموا صوفية ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وتنازعوا في " المعنى " الذي أضيف إليه الصوفي - فإنه من أسماء النسب : كالقرشي والمدني وأمثال ذلك . فقيل : إنه نسبة إلى " أهل الصفة " وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك ل قيل : صفي ، وقيل نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله ، وهو أيضا غلط ؛ فإنه لو كان كذلك ل قيل : صفي ، وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط ؛ لأنه لو كان كذلك ل قيل : صفوي ، وقيل : نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النساك وهذا وإن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف أيضا ؛ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأن

(1) عوارف المعارف للسهروردي ص ٥٧ .

(2) قواعد التصوف لأحمد زروق ص ٣ .

(3) وحدة الوجود عند الصوفية د. أحمد القصير ص ٨٣ - ٩١ .

غالب من تكلم باسم " الصوفي " لا يعرف هذه القبيلة ، ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام ، وقيل :- وهو المعروف - إنه نسبة إلى لبس الصوف «^(١).

وقال أيضاً : « والنسبة في الصوفية إلى الصوف على الأرجح لأنه غالب لباس الزهاد والعباد. »^(٢) ، وقال : « وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف ، فقيل في أحدهم صوفي ، وليس في طريقهم مقيدا بلبس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ، ولا علقوا الأمر به ، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال »^(٣) ، فهذا ما يتعلق بهذه النسبة من جهة لفظها .

وأما من جهة المعنى فالمراد بهذا اللقب عند كثير من الناس : أهل الزهد والانقطاع عن الدنيا المشتغلون بما يصلح القلوب من أنواع العبادات . ثم صار بعد ذلك عند هؤلاء : وصفاً لمن سلك سبيلهم ، وإن لم يتحقق فيه المعنى ؛ بل صار يطلق على من انتسب لهذه الطائفة ولو عرف عنه الانحراف في معتقده وسلوكه ، كما أنه قد ينتسب لهم بعض العلماء والأئمة المشهود لهم بالصدق والاستقامة في الأزمنة المتقدمة ، لكن صار الغالب على المتأخرين هو الوقوع في البدع الشركية كالاستغاثة بغير الله ، والبعد عن السنة النبوية في غالب أنواع العبادات ، مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فهذا الاسم في الأصل ليس باسم ممدوح كما أنه ليس اسماً مذموماً ، وإن كان قد يذم من جهة التعصب والحمية ، لكن صار بعض أهل العلم يجعله علامة على العبادة والزهد والورع ونحو ذلك ، وصار بعضهم يجعله علامة على بدعة الرجل ، وانحرافه في مسائل السلوك والاتباع وهذا أليق بالعصور المتأخرة نظراً لارتباط هؤلاء المنتسبين لهذا الاسم بالبدع الظاهرة^(٤) .

(1) مجموع الفتاوى (٦ / ١١) .

(2) المصدر السابق (٣٧٠ / ١٠) .

(3) المصدر السابق (١١ / ٥ - ١٨) . وانظر : تلييس إبليس لابن الجوزي ص ١٧٢ ، مقدمة ابن

خلدون ص ٤٣٢ .

(4) ينظر في ذلك فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية (٢ / ٢٦٨ - ٢٧٠) .

وللصوفية ألقاب وأوصاف يعرفون بها ، ففي أول الأمر كان لفظ العباد والزهاد يطلق على من اشتغل بالعبادة ، وعرف عنه الزهد ، ثم تميز بعضهم بذلك ، وصار لهم بعد ذلك أسماء خاصة وألقاب جديدة كالجوعية ، والفقرية ، والفكرية ، فالجوعية نسبة إلى الجوع الذي اتصفوا به تقللا وتزهدا ، والفقرية نسبة إلى الفقر والتقلل من الدنيا ، وربما المراد الفقر إلى الله عز وجل بالتعبد له والاضطرار إليه ، والفكرية نسبة إلى الفكرة والتفكير .

ثم اشتهر لقب الصوفية بعد ذلك حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :
«وكان للزهاد عدة أسماء ؛ يسمون بالشام: الجوعية ، ويسمون بالبصرة : الفقرية و الفكرية ، ويسمون بخراسان: المغاربة ، ويسمون أيضا: الصوفية والفقراء»^(١) ، ثم بعد حدوث الطرق، ودخول المحدثات والرسوم ، وما يميز بعضها عن بعض صار لكل منهم طريقة لها اسم خاص وشيخ وغير ذلك من الألقاب التي أحدثوها .

(1) المصدر السابق (١٠ / ٣٦٨) .

المبحث الثاني : نشأة التصوف

لقد تنوعت آراء الباحثين في منشأه ، وذلك من جهة سبب وجوده ، و انتشاره ، وتشابه الأفكار بما قبله من الأديان المنحرفة والمذاهب الجاهلية، فبعض من يدافع عن التصوف يصر على أن مصدره إسلامي، وأنه متلقى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا مصدر له غيرهما (١).

ويزعم بعض هؤلاء أن بداية التصوف هو مع نزول جبريل بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم أول صوفي !! وبعضهم يجعل بداية التصوف عند بعض الصحابة، وأن الثلاثة نفر الذين أراد أحدهم ألا يتزوج ، والآخر ألا ينام ، والثالث ألا يفطر ، ومنهم من يعد كبار الصحابة من الصوفية كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

ومنهم من يقول إن التصوف اتخذ الأساس الأول من سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعض الصحابة الذين أخذوا على أنفسهم بالعبادة والزهد والتقشف ومجاهدة النفس ، أي أنهم وضعوا البذور الأولى التي انبثقت منها راحة الحياة الروحية ، ثم نمت وآتت أكلها في حياة التابعين ومن تلاهم ! (٢)

فعلى هذا الزعم : أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم لم تؤت أكلها ! ولم تنضج الأحوال والمقامات في الأمة حتى جاء أولئك الخلف المنحرفون ! وكل هذا محاولات يائسة لتصحيح هذا الاتجاه الذي لا يُشكُّ في مخالفاته وبدعه وشطحاته .

(١) انظر تاريخ التصوف لعبد الرحمن بدوي ص ٤٤ .

(٢) انظر الحياة الروحية في الإسلام ص ١٠-١١ ، والتصوف والاتجاه السلفي ص ١٥ . د. محمد مصطفى

ومن الباحثين من يقول إن مصدر التصوف دخيل على الإسلام ، وأن له عدة مصادر أجنبية منحرفة - وسيأتي الحديث عن أنواع هذه المصادر - وهذا الرأي له ما يؤيده من واقع الصوفية ، ومن أقوال كبارهم وكلماتهم .

ولكن ينبغي معرفة أمر مهم ؛ وهو أن بدع التصوف وانحرافات متعلقة - في الأصل - بالشعور والوجدان ، والنفس الإنسانية واحدة متشابهة من جهة التصرفات والانفعالات ، وسائر النفوس يصيبها الفرح والحزن والحب والبغض وتتأثر بالمجاهدة والتعب والإجهاد وانحرافاتهما تكاد تكون متفقة في السبب وحينئذ فلا عجب من تشابه منحرفة الصوفية من هذه الأمة بمن انحرف من الأمم السابقة .

وقد قال الله عز وجل : اِنَّ مَثَلَ السَّيِّئِ كَمَثَلِ الْغَرَضِيِّۦۙ يَخِرُّ مِمَّا فُتِنَۙ مِنْهُۚ لَئِنْ رَاَهُ لَيَخْتَدُّ بِأَعْيُنِهِۦ خِيَرَةًۗ لِّلْغَرَضِيِّۦۙ كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنِ اَشَاءُۗ وَلَا يَهْدِيۡهُۥٓ اِلَّا لِمَنْ يَّشَآءُۗ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌۙ

[البقرة: ١١٨]

وقال تعالى عن تكذيب الكفار للرسول : اِنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ لَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيَّۙنَّ اِذَا دَعَوْهُمۡ اِلَى الْاِسْلَامِۙ لِيُؤْمِنُوْا بِالَّذِيۡ جَاءَهُمۡ مِنَ الْاِسْلَامِۗ لَئِنْ لَّمْ يَظْهَرُوْا عَلَیْهِمۡ اٰیٰتِنَا لَيَقْبَلُوْهُنَّ اِنۡ يَّكْفُرُوْاۗ بِالَّذِيۡ جَاءَهُمۡ مِنَ الْاِسْلَامِۗ كَذٰلِكَ يَجۡتَبِلُوْنَۗ

[الذاريات: ٥٣]

فالأمرض الكامنة في النفوس إذا لم تعالج بالوحي المتزل انحرفت إلى أنواع من الباطل ، واستحسنت العقول الناقصة الأعمال الجاهلية بالإضافة إلى تزيين الشيطان ذلك لأهله ولهذا تجد أن الثلاثة نفر الذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لما هموا أن يشددوا على أنفسهم في العبادة وبالامتناع عن المباحات فوقعوا في هذا الخطأ ؛ قام النبي صلى الله عليه وسلم وخطب الناس على المنبر ، وأبطل هذا الانحراف في بدايته^(١)؛ لتعلم الأمة سماحة هذه الشريعة ومحاسن هذه الملة المحمدية وفضائلها فهي تزكي النفوس وتصلح الدين ولا تهمل الدنيا.

إذا علم هذا فيقال : إن كون التصوف نشأ بسبب مؤثرات خارجية فقط ، وأن من أحدثه أول الأمر تلقى عنهم : فيه شيء من المبالغة ، و الأقرب أنه حدثت بدايته بانحرافات من بعض العباد في عصر التابعين ، ثم تطورت وزاد الأمر بسبب الالتقاء بين بعض العباد وبعض الرهبان وضلال فارس والهند وغير ذلك من المؤثرات ؛ فاجتمع فيه الأمران .

(١) البخاري(٤٦٧٥) ، ومسلم (٢٤٨٧) .

فالأديان والملل السابقة لها أثر في إذكاء الانحرافات وزيادته وتأصيله في القلوب . وبعض هذه المؤثرات يكاد الباحث يقطع بأن لها أثراً عظيماً في إحداث بعض البدع فمثلاً بدعة الاتحاد والحلول ليست إلا نتيجة لمؤثرات فلسفية وفارسية وبوذية .

بعض المؤثرات الخارجية في التصوف :

هناك عدة مؤثرات خارجية أثرت في التصوف ومنهجه ومسلكه وتصوره ، ومنها :

١ - التأثير النصراني و اليهودي :

وقد ذكر كثير من الباحثين قصصاً تدل على تأثر المتصوفة برهبان أهل الكتاب الضالين، وهذا ليس ببعيد على جهلة العباد ، ومن ذلك لبس بعضهم لباساً يشبه ألبسة النصارى — واتخاذ الخوانق والرُّبُط والزوايا ، والعزلة التي أحدثوها ، وكذلك تشبههم بالرهبان في التبتل وترك النكاح ، وتقاربهم في عقيدة الحلول والاتحاد ، ووجود بعض المصطلحات النصرانية في كلام بعض الصوفية مثل كلمة اللاهوت والناسوت والرهبوت وغيرها^(١) .

٢ - الأثر الهندي والفارسي والأثر البوذي الوثني :

وثبت تأثير هذا المصدر أكده كثير من الباحثين نظراً للتشابه في ما يتعلق بين الطريقتين في موضوع الأرواح والقول بالتناسخ ، وفي طريق الخلاص من الدنيا ، وفي إلغاء التمايز ومحو الإشارة ، ومن أسباب ذلك انتشار هذه الديانات الباطلة في خراسان والعراق ونحوها^(٢) .

الأثر اليوناني الفلسفي : تشابه عقائد الصوفية ونظرياتهم إلى حد كبير مع المدارس الفلسفية المشهورة ومن أبرز تلك العقائد : وحدة الوجود واتحاد الخالق بالمخلوق ، يقول أبو

(١) انظر التصوف المنشأ والمصادر ص ٤٩ لإحسان إلهي ظهير ، والتصوف بين الحق والخلق ص ١٢-٢٠ لمحمد فخر الشقفة ، و تاريخ التصوف الإسلامي ص ٣٣-٣٥ لعبد الرحمن بدوي ، وانظر ما ذكره ابن الجوزي في تليس إبليس ص ١٩٠ .

(٢) انظر وحدة الوجود عند الصوفية ص ٨٢ ، وكتاب أديان الهند الكبرى لأحمد شليبي ص ٧٢ ، وفصول في أديان الهند للأعظمي ص ٤٥-٤٦ ، وانظر البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها لعبدالله مصطفى نومسوك ، وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة للبيروني .

الوفاء التفتازاني : «ونحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي ... وليس من شك أن فلسفة أفلوطين الإسكندري التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس ، وعن العالم المحسوس ، كان لها أثرها في التصوف الإسلامي » ، لكنه أشار إلى أن ذلك التأثير لا يعني أن مصدر التصوف كله هو الفلسفة اليونانية ، وأن إقبال الصوفية على هذه الفلسفة كان في وقت متأخر من القرن السادس الهجري وما بعده (١).

ويقول أحد صوفية الهند المعاصرين يوسف بن سليم جشتي : « إن التصوف لم يقتبس ولم يؤخذ إلا من المنابع الصافية والمصادر الطاهرة وعلى رأسها الأفلاطونية المحدثة التي نشرها أفلوطين الإسكندري وفلسفته في الإلهيات تدور على وحدة الوجود وهذا عين ما كان يؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربي وغيره ، كما أومن به أنا أيضاً» (٢) ، ويقول محمد أبو الفيض المنوفي شيخ الطريقة الصوفية المعاصرة: «أكثر الصوفية الأعاجم خلطوا بين الفلسفة الفارسية القديمة أو الهندية ، وما قبسوه عن اليونانية والأفلاطونية الحديثة وبين تصوفهم الخاص ، وقد تأثر أمثال أولئك ببراهمة الهند والفرس في أزيائهم وطقوسهم ، واعتنقوا قدراً من أفكارهم» (٣).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق عن التصوف إنه «عقيدة فلسفية قديمة نشأت قبل الإسلام في الفلسفة الاستشرافية المنسوبة إلى أفلوطين والفلسفات الهندية القديمة ، والتي ما زالت عقيدة الهند إلى اليوم ، وهي القول بوحدة الوجود...» (٤)

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الشيوخ الأكابر ومتقدمي المنسويين إلى التصوف ليس فيهم من دخل في الانحرافات الفلسفية وأن تلك الانحرافات دخلت بعد ذلك

(١) كتاب مدخل إلى التصوف الإسلامي ص ٣٩ للتفتازاني وهو شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر سابقا .

(٢) التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ص ١٢٧ .

(٣) جمهرة الأولياء (١/٢٦٦) .

(٤) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ١٨ . انظر أيضا : تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني لعبد الرحمن بدوي ص ٢١-٤٣ ، نشأة الفلسفة الصوفية لعرفان عبد الحميد ص ١٣٣ ، تاريخ الفلسفة اليونانية لمحمد مرحبا ص ٥١ ، تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ١٤ ، التصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهور ص ١٢١ .

فيقول : « والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وأبو القاسم القشيري في الرسالة كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث كالفضيل بن عياض والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي وغيرهم وكلامهم موجود في السنة و صنفوا فيها الكتب لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد ، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة ؛ وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين ، فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيارهم وأعلامهم ، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام فهؤلاء دونهم ، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة»^(١) .

وقال أيضاً : «وهذا الإلحاد الذي وقع في كلام ابن عربي صاحب الفتوحات وأمثاله في أصول الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يكن في كلام العلماء والشيوخ المشهورين عند الأمة الذين لهم لسان صدق ولكن هؤلاء أخذوا مذهب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كابن سينا وأمثاله الذي دخل كثير منها في كلام صاحب الكتب المضمون بها على غير أهلها وأمثاله فأخرجوها في قالب الإسلام بلسان التصوف والتحقيق كما فعل ابن عربي»^(٢) .

وقال : «وكثير من ملاحدة المتصوفة كابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني وغيرهم يوافقونهم في أصولهم لكن يغيرون العبارات فيعبرون بالعبارات الإسلامية عما هو قولهم»^(٣) .

وقال أيضاً : «ولكن دخل في طريقهم أقوام بدع وفسوق وإلحاد وهؤلاء مذمومون عند الله وعند رسوله وعند أولياء الله المتقين وهم صالحوا عباده مثل من يظن أن لبعض الأولياء طريقاً إلى الله بدون اتباع الرسول أو يظن أن من الأولياء من يكون مثل النبي أو أفضل منه أو أنه يكون من هو خاتم الأولياء أفضل من السابقين الأولين ، أو أعلم بالله من خاتم الأنبياء وأمثال

(١)الصفدية (١/٢٦٧) .

(٢)الصفدية (١/٢٦٥) .

(٣)الرد على المنطقيين ص ٢٨١ .

هذه المقالات التي تقولها من دخل فيهم من الملاحدة الضالين ، ومن هذا الوجه صار قوم متصوفون يتفلسفون »^(١).

وقال : « ولكن هذا بناه ابن عربي وأمثاله من الملاحدة على أصول الفلاسفة الصابئة وهؤلاء أخذوا كلام الفلاسفة أخرجوه في قالب المكاشفة... فهذا وأمثاله هو المكاشفة التي يرجع إليها من استغنى عن تلقي الأمور من جهة السمع وهؤلاء هم الذين سلكوا ما أشار إليه صاحب الإحياء وأمثاله ممن جرى في بعض الأمور على قانون الفلاسفة وطريق هؤلاء المتفلسفة شر من طريق اليهود والنصارى وقد بسط الكلام على طريقهم في غير هذا الموضع ، والمقصود هنا أن هؤلاء مع إحداهم وإعراضهم عن الرسول وتلقى الهدى من طريقه وعزله في المعنى هم متناقضون في قول مختلف يؤفك عنه من أفك فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية فإنه لا بد أن يضل ويتناقض ويبقى في الجهل المركب أو البسيط »^(٢).

وقت اشتها لفظ الصوفية :

لا يختلف أحد في أنه لم توجد هذه الطائفة بهذا الاسم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع الخلاف في تحديد تاريخ ظهوره .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «أما لفظ " الصوفية " فإنه لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ : كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما . وقد روي عن سفيان الثوري أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري؛ فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن »^(٣).

(١) الرد على المنطقيين ص ٥١٦ .

(٢) درء التعارض (٣٥٥/٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦ / ١١) ، وانظر تلبيس إبليس ص ١٦٣ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٤٣٢ .

ويذهب كثير من الباحثين المعاصرين إلى أن التصوف حتى في العصر القديم لا يراد به أهل الزهد والانقطاع والعبادة ؛ بل هو مذهب منحرف لطائفة ضالة من أول ما أحدثت ولا يصح نسبة أحد من الصحابة ولا أئمة التابعين إليها^(١).

يقول أبو الوفاء التفتازاني : " من الأدق عدم إطلاق اسم الصوفية على زهاد المسلمين حتى أواخر القرن الثاني " وذكر أن مثل هذا الزهد لا تنطبق عليه خصائص التصوف^(٢) . هذا عن التصوف قديماً ، وأما ما عليه كثير من متأخري الصوفية فقد وقعوا في أشد أنواع الغلو والانحراف ؛ فالتصوف الآن طريقة خاصة في السلوك لها قواعد ورسوم يقوم بها المتبع لهذه الطائفة^(٣).

وهم ليسوا درجة واحدة بل أنواع ومراتب تجمعهم بدع وانحرافات في السلوك وفي غيره ، لكن منهم غلاة انتهجوا أقوالاً إلهادية كفرية، ولذلك صاروا من أعظم أهل البدع والأهواء الذين ابتلي بهم المسلمون لما يتظاهرون به من الزهد والعبادة مع أنهم يحملون أنواع الكفر والإلحاد.

والغريب أن أئمة المتصوفة المنحرفين عن الإسلام كالحلاج وابن عربي وأمثالهما لازالوا معظمين ومقدسين عند المتأخرين الذين يدعون الاعتدال والوسطية!! ، يقدسون كلماتهم الكفرية ، ومقالاتهم الإلهادية ، ويدافعون عنها مما يدل على خبث الطوية وسوء المعتقد وفساد المنهج ، فإن هذا أصله من مذهب الباطنية وبه غيرت الشرائع وحرفت الأديان .

وبعض الملبسين^(٤) ربما يحتج بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام غيره من أهل العلم في التفصيل الذي يذكرونه في المتصوفة وما يقترن ببعض أحوالهم فيشنون عليهم من بعض

(1) انظر تعليق الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله على كتاب العبودية لابن تيمية ص ١٦ - ٢١ ،

و الفكر الصوفي للشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق ص ٥-٦ .

(2) المدخل إلى التصوف الإسلامي ص ١٠٧ .

(3) انظر : تاريخ التصوف الإسلامي لعبد الرحمن بدوي ص ١٨ .

(4) انظر على سبيل المثال كتاب التصوف بين التفريط والإفراط لعمر عبد الله كامل ص ٢٠٠ .

الوجوه . فيجب أن يُعلم أن شيخ الإسلام رحمه الله وعامة أهل العلم بينوا باطل المتصوفة ونقضوا أحوالهم المخالفة للشريعة وردوا سائر بدعهم ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن الإمام أحمد والأئمة رحمهم الله تعالى وموقفهم من التصوف : «وله كلام في " الكلام الكلامي " و " الرأي الفقهي " وفي " الكتب الصوفية " و " السماع الصوفي " ليس هذا موضعه . يحتاج تحريره إلى تفصيل وتبيين كيفية استعماله في حال دون حال . فإنه ينبغي على الأصل الذي قدمناه من أنه قد يقترن بالحسنات سيئات إما مغفورة أو غير مغفورة وقد يتعسر أو يتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة إلا بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا...» (١) .

وبين رحمه الله أن طريقتهم اشتملت على الممدوح والمذموم ولاشك أن ما يمدحون به إنما هو ما وافق الكتاب والسنة وأن ذلك سببه عدم وجود من يقوم بحقائق الإيمان إلا مع وجود شيء من القصور والتفريط ؛ فلا يترك الحق حينئذ وذلك من باب تفويت أعلى المفسدتين وتحصيل أعظم المصلحتين ، وفي هذا المقام يقول رحمه الله تعالى :

«ومن أمكنه الهدى من غير انتساب إلى شيخ معين فلا حاجة به إلى ذلك ، ولا يستحب له ذلك ، بل يكره له . وأما إن كان لا يمكنه أن يعبد الله بما أمره إلا بذلك ، مثل أن يكون في مكان يضعف فيه الهدى والعلم والإيمان والدين ، يعلمونه ويؤدّبونه لا يبذلون له ذلك إلا بانتساب إلى شيخهم أو يكون انتسابه إلى شيخ يزيد في دينه وعلمه ، فإنه يفعل الأصلح لدينه ، وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه ، وإلا فلو طلب الهدى على وجهه لوجده ، أما الانتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة والائتلاف إلى الفرقة، وسلوك طريق الابتداع ، ومفارقة السنة والاتباع ، فهذا مما ينهى عنه ، ويأثم فاعله ، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم» (٢) .

(1) مجموع الفتاوى (٣٦٤/١٠) ، (٣٧٦/١٠) .

(2) مجموع الفتاوى (٥١٤/١١) .

وحيث فلا حاجة لطريقة أغنى الله عنها بمعرفة الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح ، والتي قد ضمن فيها الهدى والنور ؛ بل سلوك طريق التصوف والصوفية مع ظهور الحق ووضوحه ، وترك طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان هو عين التنكب عن الصراط المستقيم .

وكلام ابن تيمية السابق : « وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه وإلا فلو طلب الهدى على وجهه لوجده » يبين أن طريق هؤلاء ليس بمحمود مطلقاً ، وأنه يمكن الاستغناء عنه لمن وفقه الله ؛ وإذا ضم إلى ذلك العلم بأحوال المتأخرين من المتصوفة من مقارنة الشرك والبدعة والانحراف العظيم ، فحيث يكون التحذير من طريقتهم هو الحق الذي لا مرية فيه ، ولهذا نجد عامة علماء أهل السنة والجماعة والمحققين من الراسخين في العلم في هذا الزمان مطبقين على التحذير من الصوفية والنهي عن سلوك طريقتهم لما سبق ذكره .

فدعوة التصوف المشتملة على البدع دعوة مخالفة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالواجب أن تكون الدعوة إلى لزوم طريقتهم صلى الله عليه وسلم و ما عليه أصحابه رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان في الظاهر والباطن ، في الاعتقادات والعبادات والمعاملات .

والواجب أن ترجع طوائف المتصوفة عن بدعها ، وتعلن الانقياد الكامل والاتباع الصادق لمحمد صلى الله عليه وسلم. [عمران: ٣١] والتمسك بالآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم .

ويقال لهؤلاء ما كان من حق عنيتموه وقصدتموه فهو مما جاء به الإسلام ، ولا داعي لتسميته بالتصوف ، وما كان من باطل فأمره ظاهر .

ويقال لماذا تسمون ما جاء في الإسلام من هذه الأمور باسم التصوف ، ومعلوم أن التصوف مليء بالشبهات والأغلاط ، ومليء بالأمور المنحرفة بإقرار أربابه والعارفين به خصوصاً في الأزمان المتأخرة فلا يكاد يوجد متصوف إلا ومعه الغلو والشطح والانحراف ، بخلاف الزهد وترقيق القلوب ونحو هذه الأمور التي جاءت بها الشريعة فليس فيها ما يُشكّل ،

ولله الحمد والمنة ؛ فلماذا تصرون على الانتساب إلى ما يحمل الحق والباطل بل هو إلى الباطل أقرب ، وترضون بالتسمية التي هي علم على أشياء مخالفة للإسلام ، ولا ترضون بالاسم الذي سماه الله عز وجل : ﴿لَا تَتَّبِعُوا الْبَدْعَ الْكَبِيرَ﴾ [الحج: ٧٨] .

فالإصرار على هذه التسمية المحدثه وإحياءها في الأمة دليل على ما تقدم ذكره ؛ من أن ذلك حيلة لأجل تقرير هذا المذهب المنحرف ونشره بين الناس ، أو جهل كبير بالباطل وأهله . ويقال أيضاً : إن التصوف في هذه الأزمان المتأخرة وبعد حدوث البدع الكبرى فيه ليس مجرد سلوك مخالف للسنة وإنما هو منهج آخر مخالف لمنهج الإسلام له دعائه وطرقه وأساليبه ومظاهره ، ولهذا تجد أن التصوف قد صرح بدمه علماء كثيرون . وهذا ما جعل كثيراً من الباحثين ينظرون في أسباب ذلك وتوصلوا إلى نتائج منها : أن لهذه الطائفة استمداد من منحرفة أهل الكتاب والوثنيين وغيرهم كما سيأتي ذكره .

ومن المعلوم أن أوائل أئمة الصوفية المعترين لم يذكروا هذا الاسم ولا هذا المصطلح — مصطلح التصوف — بل يعبرون بألفاظ أخرى كما يعبرون عن الطالب بالمريد والمريدين ويتكلمون في الزهد والصدق والرعاية لحقوق الله ونحو ذلك . وليست فيهم البدع الكبرى الموجودة في من أتى بعدهم وزعم اتباعهم ، وإن وقعوا في بعض المخالفات ؛ لكن كما قيل البدع تكون في أولها شراً ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذرعاً وأميالاً وفراسخ^(١) .

ومن الأمثلة على قلب الحقائق ولبس الحق بالباطل والخذاع بزخرف القول : كتاب التصوف بين الإفراط والتفريط ومؤلفه : د. عمر عبد الله كامل ، وقد ضمن كتابه تقرير الشرك فأجاز طلب المدد من الأولياء والمشايخ إذا كان المدد معنوياً — بزعمه — كما أثنى على غلاة الاتحادية ودافع عنهم . وكرر مقولة أغبياء المتصوفة بأن الشطحات المنقولة عن هؤلاء مدسوسة عليهم !! والعجب الذي لا ينقضي أنهم يعيدون طباعة هذه الكتب التي دُسّ فيها الكفر والشرك — بزعمهم — ثم يوزعون هذه الكتب ويمدحون أصحابها؟! واشتمل كتابه هذا على المدافعة عن سائر بدع الصوفية الكبرى كبدع التزام الطرق الصوفية والاعتقاد بالرابطة

(1) مجموع الفتاوى (٨ / ٤٢٥) .

الشركية ، وبدع الكشف ، ودافع عن مقولات ظاهرها الكفر . ويوهم القارئ بنقله كلاماً عن بعض أئمة السنة ، ويترك من كلامهم ما فيه رد عليه .

يقول محمود عبد الرؤوف القاسم في بيان الموقف السليبي في مواجهة الصوفية : « ومن هذه الأخطاء : قولهم : إن في المتصوفة من يؤمن بوحدة الوجود ، ومنهم من يقول بالاتحاد أو الحلول ، وفيهم الأتقياء الذين يسرون على منهج الصوفية الحقة التي لا تؤمن بهذه الأمور ، وطبعاً هذا كلام خطأ كله ، فالصوفية مذهب واحد ، وعقيدتها هي وحدة الوجود ، كما أن الذين لا يعرفون وحدة الوجود بينهم هم السالكون الذين لم يبلغوا بعد محل ثقة الشيخ ... وقد استغل المتصوفة هذا الموقف ، وصاروا كلهم يقولون عن أنفسهم وعن مشايخهم لأتباعهم وأمثالهم إنهم على الصوفية الحقة ، ثم ينهالون بالشتائم على الدخلاء على الصوفية ، وعلى المبتدعة الذين يقولون بالحلول والاتحاد ، لكن بشيء من التدقيق يتضح أن هاتين الحجتين السليبيتين هما أيضاً من نتاج الصوفية ومن أساليب المتصوفة في الدفاع عن أنفسهم ومعتقدهم ... »^(١) .

(1) الكشف عن حقيقة الصوفية، ص ٨٣٩ - ٨٤١ .

الفصل الثاني : نشأة بدع الصوفية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مراحل بدع التصوف

المبحث الثاني : نشأة بدع الصوفية

المبحث الثالث : أهم بدع الصوفية ونشأتها وبيان بطلانها وفيه مطالب :

المطلب الأول : قصد القبور وتعظيمها

المطلب الثاني : تتبع أماكن الأنبياء والصالحين وآثارهم

المطلب الثالث : بدعة السماع

المطلب الرابع : بدع الذكر

١- الذكر الجماعي

٢- بدع الصعق والغشي

٣- بدع الذكر بالاسم المفرد

٤- اعتماد أدعية لم ترد واتخاذها سنة

المطلب الخامس : بدعة الاحتفال بالمولد

المطلب السادس : بدعة التشديد على النفس والامتناع عن المباحات

المطلب السابع : بدع شعائر التصوف (الخرقه - البيعة - العهد - التلقين - حلق الشعر أو قصه

على يد الشيخ)

المبحث الأول : مراحل بدع التصوف

عند دراسة بدع التصوف يجد الباحث اختلافها في البعد عن الإسلام ، كلما قرب العهد بالنبوة قلت البدع وكثر المنكر لها ؛ مثل عهد الصحابة رضي الله عنهم وعهد التابعين لهم بإحسان فإنهم أنكروا على من خالف الحق فقلّت البدع ، ولم يُرْفَع لها رأس ، وكلما تأخر الوقت : ضعف نور النبوة والسنة ، وقلّ العلم ، وظهر الجفاء وظهرت الغربة في الدين التي أخرج عنها الرسول صلى الله عليه وسلم وظهرت البدع والأهواء وعظمت الفتن والإحسان ، ولذلك فبدع الصوفية متفاوتة ، والباحثون في موضوع التصوف يجمعون على أن التصوف مر بعدة مراحل كل مرحلة أشد من التي قبلها .

وعلى هذا فالتصوف مر بعدة مراحل :

فالمرحلة الأولى هم بعض العباد في عهد التابعين الذين أدركوا بعض الصحابة وكانوا يعرفون بالنسّاك ، والزهاد ، والبكّائين ، والقراء ، والتوّابين ، ونحو ذلك من الأوصاف التي يوصفون بها لما عرف عنهم من العبادة ، والزهد ، والانقطاع عن الدنيا ، وترك الشهوات ، والملاذ المباحة ، فالمرحلة الأولى للتصوف كانت بدايتها من عصر التابعين ، وبالأخص عبّاد أهل العراق : والكوفة والبصرة أشهر مدن العراق آنذاك ، حيث ظهرت عند بعض هؤلاء علامات التشديد على النفس ، والزيادة على ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم .

قال برد مولى سعيد بن المسيب لمولاه: ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء ؛ قال سعيد : ما يصنعون ؟ قال: يصلي أحدهم الظهر ثم لا يزال صافاً رجليه يصلي حتى العصر، قال سعيد: ويحك يا برد: أما والله، ما هي بالعبادة، تدري ما العبادة؟ إنما العبادة التفكير في أمر الله ، والكف عن محارم الله (١).

وأبرز من ينسبون إلى هؤلاء مجموعة من عباد التابعين بعض تلاميذ : الحسن البصري ، ومالك بن دينار، وعتبة الغلام ، وعطاء السليمي ، وصفوان بن سليم ، وغيرهم .

(١)طبقات ابن سعد (١٣٥/٥).

وتنتهي هذه المرحلة ببداية المرحلة الثانية للتصوف ، ولكن لا يعني أن هذا النوع من العباد لم يُعد له وجود ، بل المقصود ذكر أول مبادئ التصوف في أول حدوثه ، ولم يكن في هذه المرحلة شيء من البدع النظرية والمجادلات العلمية كما لم يكن لهؤلاء العباد لغة رمزية خاصة ، ولم يضعوا تعبيرات ولا مصطلحات خاصة بهم ، وأهم ذلك أنه لم يكن لهم اسم خاص (١) .

المرحلة الثانية : ظهور التصوف بهذا الاسم وانتشار النسبة إليه .

فأول من عرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي (٢) «ت ١٥٠هـ» أو «١٦٢هـ» بالشام بعد أن انتقل إليها، وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول - إن صح ذلك عنه - : «لولا أبو هاشم ما عرفت دقائق الرياء» .

وذكر بعض المؤرخين أن عبدك: عبد الكريم أو محمد المتوفى ٢١٠هـ هو أول من تسمى بالصوفي ، وقد ذكر محمد بن أحمد الملطي الشافعي في كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» أن «عبدك» كان رأس فرقة من فرق الزنادقة (٣) ، وذكر من صفات هذه الفرقة تحريم جميع ما في الدنيا إلا القوت ، ولا تحل إلا بإمام عادل ؛ وإلا فهي حرام ومعاملة أهلها حرام ، واسم هذه الطائفة العبدكية لأن عبدك وضع لهم هذا، ودعاهم إليه، وأمرهم بتصديقه .

وذكر ابن النديم في الفهرست أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق المتوفى سنة ٢٠٨هـ هو أول من تسمى بالصوفي ، وهو من الشيعة (٤) .

(١) انظر: تاريخ التصوف في الإسلام، د. قاسم غني، ترجمة صادق نشأت، ص ٣٣-٤٣ ، وانظر: تاريخ التصوف من البداية حتى نهاية القرن الثاني، لعبد الرحمن بدوي، الحياة الروحية في الإسلام، د. محمد مصطفى حلمي .

(٢) انظر كشف الظنون (٤١٤/١) .

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٤) انظر كتاب الصلة بين التصوف والتشيع د. كامل الشيبلي ص ١٠٥ .

ولأجل هذه الأوليات صار بعض الباحثين يميل إلى أن التصوف دخيل على الإسلام
 أنشأه الزنادقة والرافضة الذين عرفوا بالكيد للمسلمين قديماً^(١).
 فالمرحلة الثانية تميزت بظهور أحوال عجيبة وسلوك غريب لكثير من العباد والزهاد
 زادوا زيادة واضحة على من قبلهم، وتميز بظهور اسم التصوف والصوفي، وهي بداية لانتشار
 هذه الأسماء والمصطلحات الأخرى المصاحبة لها كالحب والفناء، وكان هذا في أوائل القرن
 الثاني، والتاريخ الزمني لهذه المرحلة تقريباً هو من ظهور أبي هاشم الصوفي وأمثاله.
 فمن تلك الأحوال المنقولة عنهم أن بعضهم شيد لنفسه صومعة يعتزل فيها، وآخر
 اعتكف في المغارات، ومنهم من جاب الصحاري، ومثل هذه القصص المنقولة عنهم التي تدل
 على تشدد وتنطع وتعمق مع الجهل وقلة العقل في بعض ما ينقل عنهم.
 ومن مميزات هذه المرحلة ظهور العبارات والمصطلحات والكلمات التي في مقام التوكل
 أو غيره من المقامات التي غلطوا فيها غلطاً فاحشاً فخالفوا المشروع. أو كلمات تدل على
 تميزهم عن المسلمين كقول بعضهم «علمنا....» «طريقتنا....» «أصولنا.....»^(٢) وهذا
 يدل على بداية التحزب والتفرق وهو طريق البدعة ومخالفة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين.
 وفي آخر هذه المرحلة صنف الكتب التي فيها ذكر الخطرات والأحوال وخطل الزهد
 المشروع بغيره مثل كتب الحارث المحاسبي وغيره.

(١) انظر: التصوف المنشأ والصادر، لإحسان إلهي ظهير، ص ٤٩ وما بعدها، والفكر الصوفي في ضوء
 الكتاب والسنة، لعبد الرحمن عبد الخالق، ص ٤٥، ٦٧ وما بعدها، وهذه هي الصوفية، لعبد الرحمن
 الوكيل.

(٢) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (١٩٠/١٠)، مدارج السالكين لابن القيم (١٤٢/٣)، سير
 أعلام النبلاء للذهبي (٦٧/١٤، ٦٩).

سئل أبو زرعة الرازي رحمه الله عن كتب المحاسبي، فقال: إياك وهذه الكتب، فقيل له: في هذه عبرة، فقال: من لم يكن له عبرة في كتاب الله عز وجل، فليس له في هذه الكتب عبرة^(١).

المرحلة الثالثة :

وهي امتداد للتي قبلها وهي ما بعد نهاية القرن الثاني الهجري أو بعد ذلك، وظهر في هذه المرحلة تميز ظاهر جداً لمن تتبع التاريخ وسير التراجم ، كما ظهر فيها المصطلحات الغامضة والتي تحتل عدة معانٍ، فيحملها بعضهم على ما يوافق الإسلام إحساناً بالظن، وآخرون يفهمون منها بداية الابتداع أو حتى الزندقة والكفر لشبهها بعبارات الباطنية. ومن هذه المصطلحات : الوحدة ، الفناء ، الاتحاد ، الحلول ، السكر ، الصحو ، الكشف ، المرید ، العارف ، الحال ، وغيرها .

ومن يدخل في ضمن هذه المرحلة أصحاب الحارث المحاسبي ومن بعدهم ، والجنيد ، وشيخه السري السقطي ، وشيخ السري : معروف الكرخي ، وذو النون المصري ، وأبو سعيد الخراز وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وهذا نموذج على الأحوال المأثورة عن هؤلاء :

فقد صعد أحمد النوري «ت ٢٩٥هـ» قنطرة ، ورمى بثلاثمائة دينار في الماء واحداً بعد واحد ثم عقار بيع له !! وهو يخاطب ربه: «حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هذا» !^(٢) . وقال أحدهم لأبي بكر الشبلي «ت ٣٣٤هـ» كم في خمس من الإبل ؟ فقال : في واجب الأمر شاة، وفيما يلزمنا : كلها !!^(٣) ، فهذه الأمور المنكرة والأحوال الشاذة صارت دين الصوفية وغاية الكمال عندهم .

(١) تلبیس إبلیس ص ١٦٧، وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (١٨٨/٢) فقد نقل عن الإمام أحمد نحو ذلك .

(٢) اللمع في التصوف للطوسي ص ٢١٠.

(٣) المصدر السابق ص ٤٩٣.

ولذلك يقول بعض الباحثين: « بلغ التصوف مرحلة النضج والكمال في القرن الثالث وازداد تكامله بحيث يمكن القول بأن التصوف الحقيقي قد بدأ منذ القرن الثالث الهجري»^(١) .
وهذه المرحلة يُلحظُ في عبارات الصوفية مدى تأثير المصادر المنحرفة في التصوف في الأقوال وفي الأفعال وفي السلوك ، وهذا التأثير والتغير الحاصل يدل على بداية أفكار جديدة واصطلاحات خاصة كالاتمام العظيم بالعشق ، والمحبة ، والهيام ، والذهول ، وغير ذلك ، ومن أهم ذلك : أن العبادة ليست هي الهدف الأعلى بل هي مقدمة لما هو أعلى منها !! وهذه مقدمات للقول بوحدة الوجود والقول بالحلول^(٢) .

وتجدر الإشارة إلى أنه في المرحلة الثالثة ابتدأ ظهور التحزب المنهي عنه والتعصب للشيوخ الصوفية الذي هو أصل بداية الطرق الصوفية .
فصار ظاهراً جداً في هذه المرحلة : التعصب لشيخ الطريقة والتحزب حوله ، وصار لكل شيخ طريقه في الآداب والرسوم والذكر ، وصار للشيخ سلطة على مريديه^(٣) .
المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة التصوف الحلولي الاتحادي ، وظهر القول بحلول الله في خلقه عند بعض الصوفية ، وصرحوا في ألفاظهم بهذا الكفر والضلال .
ومن هؤلاء : الحلاج ؛ الحسين بن منصور الذي قُتِلَ ردةً سنة ٣٠٩ هـ ، وهو أشهر القائلين بالحلول والاتحاد ، ورمي بالكفر وقتل مصلوباً ، واشتهر عنه كفريات عظيمة^(٤) ، وجاء بعده أقوام اقتدوا به وغلوا في الكفر ، نسأل الله السلامة والعافية .

(١) تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٧١ .

(٢) تاريخ التصوف ص ٧٨ ، وانظر الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٩ ، ١٠٥ .

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣١٧ ، ٦٠٣ .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٣/١٤ - ٣٥٤) وانظر خبر الشبلي معه في (٣٣١/١٣) ، وانظر

اللمع ص ٤٩٠ ، اللمع ص ٤٩١ .

وهذه المرحلة استقر فيها التصوف وتمهدت قواعده وفسرت غوامض أقوال الشيوخ بما يدل على الاتحاد والحلول ، وظهرت فيها أقطاب الصوفية ، كما ظهر التصوف الطريقي واضحاً بوضوح طرقه وتنوعها، وتسربت في هذه المرحلة الفلسفة اليونانية ، ومن أسباب ذلك الترجمة الواسعة للكتب اليونانية ، وانتشار الباطنية (١).

ويذكر عباس العزاوي المؤرخ العراقي «ت ١٣٩١هـ» أن غلاة المتصوفة نشطوا في أواخر المائة الثالثة من الهجرة ، وأنهم نشطوا بأبي منصور الحلاج متأثرين بالأفلاطونية الحديثة من جهة وبالهنود من جهة أخرى .

وفي أواسط المائة السادسة اغتنموا فرصة الدعوة ، وبنوا كتاب الإشارات ودعا السهروردي المقتول لمذهب الإشراقين (٢)، ولخص الفخر الرازي الإشارات وشرحه ؛ فكان أكبر دعوة للإشراق وعقائده سواء باعتباره عقيدة فلسفية أو عقيدة باطنية أو تصوفية ، فانتشرت الفلسفة الإشراقية في أواخر العهد العباسي ، ودخلت في التصوف فزادت في نفوذها، وكثر الاشتغال بها (٣).

والمقصود بيان مدى انحراف التصوف على تنوع مراحلها ، وما وقع فيه أصحابه من مخالفة لتوحيد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

(١) انظر ما تقدم عن تأثير الفلسفة على التصوف ص ١٩ .

(٢) قال في كشف الظنون ١/٦٧٧-٦٧٨ : (حكمة الإشراق من العلوم الفلسفية بمتزلة التصوف من العلوم الإسلامية كما أن الحكمة الطبيعية والإلهية منها بمتزلة الكلام منها... والطريق إلى هذه المعرفة من وجهين أحدهما طريقة أهل النظر والاستدلال وثانيهما طريقة أهل الرياضة والمجاهدات والسالكون للطريقة الأولى إن التزموا ملّة من ملل الأنبياء عليهم السلام فهم المتكلمون وإلا فهم الحكماء المشاؤون والسالكون إلى الطريقة الثانية أو وافقوا في رياضتهم أحكام الشرع فهم الصوفية وإلا فهم الحكماء الإشراقيون فلكل طريقة طائفتان) ويقول (١/٤١٤) : (واعلم أن الإشراقين من الحكماء الإلهيين كالصوفيين في المشرب والاصطلاح خصوصاً المتأخرين منهم إلا ما يخالف مذهبهم مذهب أهل الإسلام ولا يبعد أن يؤخذ هذا الاصطلاح من اصطلاحهم كما لا يخفى على من تتبع كتب حكمة الإشراق) .

(٣) انظر تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق لعباس العزاوي (مخطوط) ص ٦٦-٦٧ .

المبحث الثاني : نشأة بدع الصوفية

يعرف فساد منهج المتصوفة بمخالفته لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة وقت حدوث بدع الصوفية يدل على ذلك ، يبينه قوله صلى الله عليه وسلم : " فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ؛ فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" (١) ، وظاهر أن كثيراً من قواعد البدع المنتشرة عند المتصوفة وجدت قبل ظهور مصطلح التصوف ؛ فإن التصوف والصوفية لم يعرف مصطلحاً على هذه الطائفة إلا في أتباع التابعين ومن بعدهم ، والابتداع في العبادة والسلوك قد بدأ قبل ذلك .

وأما بدع التصوف الغالية كبدعة القول باتحاد الخالق مع المخلوق وغيرها من المقالات الكفرية فنشأت بعد ذلك بمدة ، وعلى وجه التقريب في القرنين الثالث والرابع الهجريين .

ومن الملاحظات في التتبع التاريخي لبدع التصوف ما يأتي :

- ١ . أن مصطلح التصوف بدأ في العراق ، ولم يعرف في الحجاز ولا مصر ولا الشام ، والسبب في ذلك — والله تعالى أعلم — هو قرب تلك البلاد من بلاد فارس .
- ٢ . أن الأخطاء التي وقع فيها العباد والزهاد صارت فيما بعد هي شعار الصوفية الذي يلتزمون به ، ودينهم الذي يتمسكون به .
- ٣ . أن الصوفية في القرن الثالث الهجري وما بعده ابتعدوا عن العلم وأهله، بل ورموهم بالألقاب المنفرة، فصارت « الحقيقة ، وعلم الباطن ، والوصول » لهم، أما الرسوم والمظاهر فلغيرهم (٢) !! .

تفرق الصوفية في القرن الثالث والرابع الهجريين إلى طبقات وأنواع ؛ فمن ذلك: طبقة ترى لزوم طريقة السلف وتدعوا إليها وتنتهي عن الابتداع ، وبعضهم لم يعرف عنه انحراف

(١) أخرجه أبو داود في السنة (١٣/٥) والترمذي في العلم (٤٤/٥) وابن ماجه في المقدمة (١٥/١)، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) ينظر موقفهم من العلم وأهله فيما حكاه ابن الجوزي عنهم في كتاب تلبس إبليس (٣٨٩/١-٤٠١) .

في المعتقد، ولكن مع ذلك يبقى انتسابهم لهذه الطريقة وابتعادهم عن العلم وأهله من أعظم أسباب انحرافهم وانحراف أتباعهم . وطبقة أخرى ظهرت عندهم ألفاظ ومصطلحات وحدود كالحال والذوق والوجد والهواتف والمكاشفات فأخذها عنهم أتباعهم ؛ وكان لهذا أعظم الأثر في جرف تيار الصوفية إلى ما جاء بعده من انحرافات عظمى ، ومن هؤلاء : ذو النون المصري «ت ٢٤٥هـ» ، وأبو يزيد البسطامي «ت ٢٦٣هـ» ، والحكيم الترمذي «ت ٣٢٠هـ» وغيرهم ، وهذا الذي حدث في الطبقة الثانية من الصوفية في هذين القرنين وهي طبقة ظهر فيها عبارات الحلول والفناء والسكر والصحو والبقاء ، والعارف والأحوال والمقامات ، وشاع عندهم التفريق بين الحقيقة والشريعة ، وهذه الطبقة رُميَ كثير من أصحابها بالزندقة والكفر والردة ، وذلك لما نقل عنهم من عبارات وألفاظ تدل على ردهم، وظهر فيهم الحلولية ومنهم الحلاج «ت ٣٠٩هـ» ،

ومن الحق أن هؤلاء مهدوا للباطنية والاتحادية والفلاسفة إدخال الكفر باسم الإسلام ، وإدخال الإلحاد باسم التصوف .

وهذا ما وقع بعد هذين القرنين فظهر القول بوحدة الوجود ، وظهر ابن عربي الملقب بالشيخ الأكبر «٥٦٠هـ-٦٣٨هـ» وهو من أشهر من قرر القول بوحدة الوجود ودعا إليه ؛ وعدَّ نفسه خاتم الأولياء ، وظهر التصوف الفلسفي الإشراقي على يد السهروردي شهاب الدين أبو الفتوح محيي الدين بن حسن «٥٤٩هـ-٥٨٧هـ» هو صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية التي أساسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في حقيقة الوجود، وبين الفلسفة اليونانية .

٤. في بداية القرن السادس ظهرت الطرق الصوفية وانتشرت ، وأشهر طريقة هي القادرية المنسوبة لعبد القادر الجيلاني «ت ٥٦١هـ» ، كما ظهر أبو الحسن الشاذلي «ت ٦٥٦هـ» وهو من أصحاب ابن عربي . وظهرت الرفاعية وطرق أخرى كثيرة .

٥. القرن السابع والثامن والتاسع لم تظهر نظريات جديدة للصوفية سوى شرح كتب أصحابهم والدفاع عنهم والغلو فيهم ، وظهرت كتب تراجم الصوفية .

٦. وهكذا القرون المتأخرة من العاشر إلى الرابع عشر ، لكن ظهرت ألقاب جديدة ؛ مثل: شيخ السجادة ، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وفي القرن الرابع عشر أُسس في مصر مجلس أعلى للطرق الصوفية ، لتنظيمها وترتيبها والإذن والسماح بافتتاح طرق جديدة ونحو ذلك .

وللصوفية في العصر الحاضر خطر كبير ولهم سعي في نشر باطلهم والدعوة إليه ، ويتضح ذلك بما يلي :

١- فالطرق الصوفية منتشرة في العالم الإسلامي انتشاراً واضحاً ؛ فلهم نشاط واضح في طبع كتب التصوف الغالية ككتب الشعراي وكتب ابن عربي وابن الفارض وغيرهم ، ولهم نشاط واضح في دعم طرقه ، ولهم سعي كبير لنشر التصوف في كثير من الوسائل الإعلامية .

٢- ومن أقوال بعض المعاصرين الذين مدحوا هذا التصوف المنحرف :

● يقول محمد بن علوي مالكي : «الرجل منهم «يقصد الصوفية» يعيش دائماً في مقام الإحسان ، يرى الله في كل شيء ، إنه إيمان يبعث اليقظة الشاملة في الحياة ويضفي عليها الإحساس العميق بالربانية السارية في الكون ، والتي تعيش في أعماقنا» وجوز في كتابه أنواعاً من الشرك (١) ، وله كتاب يقرر فيه الشرك الصريح سماه شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد ومن كلامه فيه : " زيارة نبوية " ثم نقل منها : « وقد وفدت عليك زائراً ، وبك مستجيراً وجئتك مستغفراً ، .. فما أنا في حضرتك وجوارك ونزير بابك .. » ثم ذكر قصيدة اشتملت على الشرك بالله تعالى وهي " قصيدة الحجر النبوية الشريفة " ووصفها باليتيمة العصماء ، ومنها :

«يا سيدي يا رسول الله خذي بيدي مالي سواك ولا ألوي على أحدٍ
إني إذا سامني ضيم يروعني أقول يا سيد السادات يا سندي
كن لي شفيعا إلى الرحمن من زللي !!» (٢).

ومن ذلك كتابه الذميمة الذي سماه الذخائر الحمديدية وضمنه أموراً منكراً ، منها : أنه نسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفات هي من خصائص الله تعالى ، كقوله : بأن لرسول الله مقاليد السموات والأرض ، وأن له أن يُقَطِّع الجنة ، وأنه يعلم الغيب والروح

(١) مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي مالكي ص ٣٢ ، وكتاب شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد .

(٢) كتاب شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد ص ٢٠٣ .

والأمور الخمسة التي اختص الله بعلمها ، وأن الخلق خلقوا لأجله ، وغير ذلك من ذكره لأبيات تضمنت الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم^(١) .

● وقال أبو العلا العفيفي : « التصوف هو المظهر الروحي الديني الحقيقي عند المسلمين ، لأنه المرآة التي تنعكس على صفحتها الحياة الروحية الإسلامية في أخص مظاهرها فإذا أردنا أن نبحت عن العاطفة الدينية الإسلامية في صفاتها ونقائنها وعنورها وحرارتها وجدناها عند الصوفية »^(٢) .

● ويقول عبد القادر عطا : « الملاذ الوحيد إذاً لجماعات المسلمين في عصرنا هذا: هو التصوف ، هو الذي يمكن أن يعيد إلى الأمة قوتها ، وجبروتها الضائع ، وحضارتها التي ذبلت »^(٣) .

● ويقول عبد الرحمن عميرة : « قد توخيت عند تناولي لهذا البحث - تبيان الجانب الروحي للإسلام ، وتوضيح أن التصوف روح الإسلام وجوهره ، منه ينبع ، وإليه ينتسب ، وهو لهذا يلتزم الكتاب والسنة ، يلتزمهما قولاً وفعلاً ، يلتزمهما سلوكاً ومنهجاً »^(٤) .

● يقول محمد أمين الكردي النقشبندي : « يلاحظ الذاكر معنى لا إله إلا الله أي لا معبود ولا مقصود ولا موجود إلا الله فهذه ثلاث معان ؛ الأولى للمبتدئ ، والثانية للمتوسط ، والثالثة للمنتهي »^(٥) .

(١) وقد تولى الرد عليه في هذه الانحرافات فضيلة الشيخ عبد الله ابن منيع في كتاب حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته .

(٢) التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص ٩٦ .

(٣) كتاب التصوف في عصر النابلسي ص ١٨ .

(٤) التصوف الإسلامي منهجاً وسلوكاً ص ٥ .

(٥) تنوير القلوب ص ٥٤٥ .

● ومثال من أهل الطريقة الشاذلية : الذين يقولون في دعاءهم « وُزَّحَّ بي في بحار الأحذية وانثلني من أوحال التوحيد!! ، وأغرقني في عين بحر الوحدة!! ، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها ... » (١).

● وهذا محمد عثمان عبده البرهاني السوداني : يقول « وإني أرى أن الشيخ الحلاج عليه رضوان الله تعالى لم يأت ببدعة عندما قال: ما في الجبة إلا الله » (٢) .
ونقل مقالة الخبيث الصوفي : لو رأيت أبا يزيد مرة لكان خيراً لك من أن ترى الله ألف مرة!! (٣).

وينقل قول القائل :

بذكر الله تزداد الذنوب!! وتنعكس البصائر والقلوب

فترك الذكر أفضل كل شيء وشمس الذات ليس لها غروب

ثم يقول البرهاني مؤيداً لهذا الكفر : ولقصر فهم الكثير من الناس يرون أن هذه القصيدة لمنع الذكر ، ولكن إنما هي أدب في حضرة الله!! (٤) .

فأي شيء أعظم من هذا الباطل ، والله عز وجل يقول : *أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ الشَّرْكَاءَ الَّتِي كَفَرُوا* [الحجر : ٢٨] ، وكتابه المسمى تبرئة الذمة بنصح الأمة مليء بأنواع متعددة من الغلو والخروج عن الشريعة ، ولهذا جدير بأن يوصف كتابه هذا بأنه خيانة الذمة بغش الأمة .

● وكذلك ما ذكره عبد الحمود نور الدائم في كتابه الضياء اللائح في مناقب القطب الواضح ، والذي طبع في السودان تحت مسمى رابطة شباب السمانية :

(١) انظر النفحة العلية في أورداد الشاذلية ص ١٦ .

(٢) تبرئة الذمة بنصح الأمة ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ .

(٣) تبرئة الذمة بنصح الأمة ص ٢٥٢ .

(٤) تبرئة الذمة بنصح الأمة ص ٢٦٩ .

فقد ذكر فيه من الغلو والشرك والباطل شيئا كثيرا ، ومنه فضل رؤية من رأى شيخهم الذي يعبدونه !! بل من رأى من رأى شيخهم إلى سبع مرات لا تمسه النار !! وينسب هذا الكذب والإفك العظيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

(١) انظر الكتاب المذكور أعلاه ص ٢٧ .

المبحث الثالث : أهم بدع الصوفية ونشأتها وبيان بطلانها

هذا الموضوع هو لبُّ هذا البحث ، وينبغي أن يعلم أن هذه البدع التي سترد في الدراسة لا تختص بالصوفية وحدهم ، بل قد شاركهم غيرهم فيها ، وقد يكون أصلها من غيرهم ثم صارت فيهم - ولا يعني ذلك أن كل متصوف يفعلها كلها - لكن هي على كل حال مما تميزت به طوائف الصوفية عموماً ؛ فأجمل أعظم بدع المتصوفة بحسب ما ظهر لي :

- ١ - قصد القبور لتعظيمها والاعتقاد فيها نفعا أو خيرا وبناء القباب والمساجد عليها، وما يتبع ذلك من الأمور الشركية أو المبتدعة.
- ٢ - تتبع أماكن الأنبياء والصالحين، والتبرك بها، وتحري العبادة فيها .
- ٣ - بدعة السماع الصوفي المبتدع .
- ٤ - بدع الذكر
- ٥ - الاحتفال بالمولد .
- ٦ - التشديد على النفس والامتناع عن المباحات .
- ٧ - بدع شعائر التصوف .

المطلب الأول : قصد القبور وتعظيمها والاعتقاد فيها وبناء القباب والمساجد عليها :
ليست بدع القبور نوعاً واحداً ، بل أنواع متعددة تختلف في درجاتها وأحكامها ؛ فمنها ما هو كفر وشرك ، ومنها ما هو بدعة محرمة ، وتختلف في درجاتها .
وإن تعظيم القبور والغلو فيها وعبادة أصحابها من دون الله تعالى من أخطر ما وقعت فيه كثير من طوائف الصوفية المنحرفة وغيرهم من أهل الضلال ، فقد صاروا أو أكثرهم إلى أنواع من الشرك بنوعيه فبنوا المساجد على القبور ، وبنوا على القبور القباب ووضعوا الأستار والقناديل ، وجعلوا لها سدنة وصناديق لاستقبال النذور ، ومكنوا من الطواف بها والعكوف والصلاة عندها، وأوحوا إلى روادها أن هؤلاء الأموات يشفعون لهم ، ويعيثنون من استغاث بهم ويحيون الدعوات ويكشفون الكربات ، وأن لهم من الأحوال والتصرفات ما يعلق قلوب الناس بهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله (١) .

وأما نشأة هذه البدعة :

فقد يجد القارئ في تراجم بعض المتقدمين أنواعاً من الغلط والبدع في القبور والمقبورين ثم صارت هذه الأغلاط سبباً في وقوع هؤلاء المتأخرين في الغلو ، ومن ذلك ما نقل عن بعض المتقدمين أنه قال عن قبر معروف الكرخي: «قبر معروف الترياق المحرب» !! ، ومثل ما قال بعض هؤلاء : «أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه» ، ونحو ذلك من العبارات المفضية للتعلم بالأموات بالندى أو بالعكوف أو

(١) وللمعرفة بعض واقع هؤلاء وأحوالهم ينظر في المراجع التالية :

الرد على البكري لابن تيمية ص ٣٤٩ ، إغاثة اللهفان (١/٢٠٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٨) ، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله ، وفتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن ، الدر النضيد للشوكاني ، رسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني ، قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان ص ١٠٧-١١٣ ، الشرك ومظاهره للميلي ص ١٠٨ ، معارج القبول للحكمي (١/٤٧٥) ، كتاب (الله توحيد وليس وحدة) لمحمد الأنور البلتاجي ص ٣٠٢ ، ٣٢٤ ، فقه السنة لسيد سابق (١/٥٤٩) ، حقيقة التوحيد ليوسف القرضاوي ص ٦٤ .

بتحري الدعاء ، وليس في هذا متعلق للقبوريين فإن المعصوم من عصمه الله ، ولكن غاية ما في هذا أن يعرف متى نشأ هذا الباطل .

وهذا لا شك أنه من أسباب الشرك ومن أعظم البدع المفضية إلى الشرك ، وبسبب هذا اشتبه على كثير من الجهال الأمر وظنوا جواز مثل هذه البدع وصاروا يقصدون القبور، وانتشر البناء على القبور والعكوف عندها. وأول من بنى على القبور هم الرافضة واشتهر هذا أولاً في الديار المصرية في عهد العبيديين .

وكانت هذه البدعة في بداية القرن الثالث ، ولهذا ذكر عن بعض الخلفاء إنكار هذا الأمر كما نقل عن الخليفة العباسي المتوكل أنه أمر في سنة «٢٣٦هـ» بهدم القبر المنسوب إلى الحسن بن علي وحذر الناس منه (١) .

ثم تفاقم الأمر وتوسع بعض المنتسبين للدين والشيوخ ولُبس عليهم فقبلوا روايات الرؤى والقصص وصار البناء على القبور وتعظيمها ، بل والتبرك بها والاعتقاد في أصحابها أمراً منتشراً بين العوام ولا سيما الرافضة ومن تأثر بهم من جهال أهل السنة (٢) .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وما أحفظ لا عن صحابي ولا عن تابعي ولا عن إمام معروف أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده ، ولا روى أحد في ذلك شيئاً ؛ لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من الأئمة المعروفين ، وقد صنف الناس في الدعاء وأوقاته وأمكنته وذكروا فيه الآثار ؛ فما ذكر أحد منهم في فضل الدعاء عند شيء من القبور حرفاً واحداً فيما أعلم، فكيف يجوز والحالة هذه أن يكون الدعاء عندها أجوب وأفضل والسلف تنكره ولا تعرفه وتنهى عنه ولا تأمرنا به ، نعم صار من نحو المائة الثالثة يوجد منفرداً في كلام بعض الناس «فلان ترجى الإجابة عند قبره» ، و«فلان يدعى عند قبره» ونحو

(١) البداية والنهاية: ٣١٥ / ١ .

(٢) وانظر ما حكاه المناوى عنهم في ذلك في فيض القدير (١٩٩/٤) ، وكتاب بالمدخل لابن الحاج

(٤/٢٤٦) . وكتاب المنحة المحمدية لمحمد بن عبد السلام حضر اشتمل على ذكر أنواع كثيرة من هذه

البدع عند الصوفية .

ذلك. كما وجد الإنكار على من يقول ذلك ويأمر به كائنا من كان»^(١). وقال: «وأما ما حكى عن بعض المشائخ من قوله إذا نزل بك حادث أو أمر تخافه فاستوحى فيكشف ما بك من الشدة حياً كنت أو ميتاً ، فهذا الكلام ونحو إما أن يكون كذباً من الناقل ، أو خطأ من القائل ؛ فإنه نقل لا يعرف صدقه عن قائل غير معصوم ومن ترك النقل المصدق عن القائل المعصوم واتبع نقلاً غير مصدق عن قائل غير معصوم فقد ضل ضلالاً بعيداً»^(٢).

«فعلم أن هذا من الضلال وإن كان بعض الشيوخ قال ذلك فهو خطأ منه والله يغفر له إن كان مجتهداً مخطئاً ، وليس هو بنبي يجب اتباع قوله ، ولا معصوم فيما يأمر به وينهى عنه ، وقد قال الله تعالى : [النساء : ٥٨] « (٣) .

وسياقي من النصوص ما فيه كفاية ومقنع لمن رزقه الله البصيرة .

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وقد جاءت خلافة بني العباس وظهر في أثنائها من المشاهد بالعراق وغير العراق ما كان كثيراً منها كذباً وكانوا عند مقتل الحسين بكرلاء قد بنوا هناك مشهداً وكان ينتابه أمراء عظماء حتى أنكروا ذلك عليهم الأئمة وحتى إن المتوكل لما تقدموا له بأشياء يقال إنه بالغ في إنكار ذلك وزاد على الواجب ... - ثم أشار إلى خلافة بني العباس في حال استقامتها - فقال : فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد لأن الإسلام كان حينئذ ما يزال في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ، ولم يكن قد أُحْدِثَ مشهدٌ لا على قبر نبي ، ولا صاحب ولا أحد من أهل البيت ولا صالح أصلاً ، بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك ، وكان ظهورها

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٦٨-٣٦٩) وانظر ما سياتي في ص ٦٠ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢٥/٢٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٥/٢٧) .

وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة ، وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين ، وفشت فيهم كلمة أهل البدع ؛ وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة ؛ فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ، ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر ... وقريباً من ذلك ظهر بنو بويه ، وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية ، وفي دولتهم قوى بنو عبيد القداح بأرض مصر ، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النحف ، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قبر علي هناك ؛ وإنما دفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة ...» (١) .

فهذا يبين أن أول من عُرف عنهم تعظيم القبور وبناء المشاهد والمزارات هم الرافضة ؛ فالرافضة أصل هذا البلاء وعنهم انتشر في الصوفية وغيرهم .

وأصل هذا أن قول القائل إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين قول ليس له أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قاله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في الدين ... ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة والمشايخ المتقدمين من يقول إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين لا مطلقاً ولا معيناً ، ولا فيهم من قال إن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة ، ولا أن الصلاة في تلك البقعة أفضل من الصلاة في غيرها ، ولا فيهم من كان يتحرى الدعاء ولا الصلاة عند هذه القبور (٢) .

وهذه البدع إنما يحدثها أهل الغلو والشرك المشبهين للنصارى من أهل البدع الرافضة الغالية في الأئمة ومن أشبههم من الغلاة في المشايخ (٣) .

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٦٥-٤٦٧) ، وانظر (٢٧/١٦٧-١٦٨) .

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢٧/١٢٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/١٢٧) .

وصرح الذهبي بأن ما يفعل من الشرك عند القبور في مصر بأنه من آثار الدولة العبيدية فقال: « ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ولا يجوز مما فيه من الشرك ويسجدون لها ويلتمسون منها المغفرة وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية » (١).

وقريب من ذلك إنكار ابن كثير لهذه الشراكيات كما في ترجمة المرأة الصالحة نفيسة في البداية والنهاية (٢) حيث يقول: « قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها ، وفي غيرها كثيراً جداً ، ولا سيما عوام مصر ؛ فإنهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ، وألفاظاً كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز ... والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام المغالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمسها ، والمغالاة في البشر حرام ، ومن زعم أنها تفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك » .

وقال الشيخ محمود الألوسي في تفسيره روح المعاني :

«وقد رأينا كثيراً من الناس على نحو هذه الصفة ، التي وصف الله تعالى بها المشركين ، يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم ، ويطلبون منهم ، من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيهم ، ويعظمون من يحكي لهم ؛ وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل ، وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله ، وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة ، وينسبونه إلى ما يكره ، وقد قلت يوماً لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات ، وينادي يا فلان أغثنني ، فقلت له : قل يا الله ، فقد قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدعون مع الله شفيعاً ﴾ [البقرة: ١٨٦] . فغضب وبلغني أنه قال : فلان منكر على الأولياء !! وسمعت عن بعضهم أنه قال : الولي أسرع إجابة من الله عز وجل !! وهذا من الكفر بمكان ، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطمغيان » (٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٦) .

(٢) البداية والنهاية (١٠/٢٦٢-٢٦٣) .

(٣) روح المعاني (١٠/٢٤) .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : « ومن أعظم مكايده التي كاد بها أكثر الناس وما نجح منها إلا من لم يرد الله تعالى فتنته ما أوحاه قديما وحديثا إلى حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله وعبدت قبورهم واتخذت أوثانا وبنيت عليها الهياكل وصورت صور أربابها فيها ثم جعلت تلك الصور أجسادا لها ظل ثم جعلت أصناما وعبدت مع الله... » ثم ذكر حديث ابن عباس عند البخاري في أصل هذه المعبودات « أنها أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت ، وقال غير واحد من السلف : كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

فهؤلاء جمعوا بين الفتنين فتنة القبور وفتنة التماثيل ، وهما الفتنان اللتان أشار إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله تعالى وفي لفظ آخر في الصحيحين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور « (١) .

ونقل عن ابن تيمية رحمه الله أنه وضع أن العلة التي لأجلها نهي الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي سد ذريعة الشرك ، وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب ونحو ذلك فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ولهذا نجد أهل الشرك كثيرا يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٠٩-٢١١).

وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد ... قال: وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله تعالى فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله أن الصلاة عند القبور منهي عنها وأنه لعن من اتخذها مساجد فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها وقد تواترت النصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنهاي عن ذلك والتغليظ فيه فقد صرح عامة الطوائف بالنهاي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة» (١).

وقد صح عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك" (٢)، وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله في مرضه الذي لم يقم منه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً (٣)، وجاء بمعنى هذا عدد من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه يصلي عند قبر فقال: القبر القبر (٤).

وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة رضي الله عنهم ما فهمهم عنه نبينهم من الصلاة عند القبور، وفعل أنس رضي الله عنه لا يدل على اعتقاده جوازه؛ فإنه لعله لم يره أو لم يعلم أنه قبر أو ذهل عنه فلما نبهه عمر رضي الله تعالى عنه تنبه.

(١) إغاثة اللهفان (١/٢١١-٢١٢).

(٢) مسلم (٢٣٢).

(٣) تقدم.

(٤) البخاري (١/٥٢٣) — فتح الباري —

ثم قال ابن القيم : «وقد ذكر محمد بن إسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا أبو العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعا له كعبا فنسخه بالعربية فأنا أول رجل من العرب قرأه ، قرأته مثل ما أقرأ القرآن ، فقلت لأبي العالية ما كان فيه ، قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد ، قلت : فما صنعتم بالرجل ، قال حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه ، فقلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون ، فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال ، فقلت : مذكم وجدتموه مات ؟ قال : مذ ثلاثمائة سنة ، قلت : ما كان تغير منه شيء ؟ قال : لا إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع .

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المستأخرون لجالدوا عليه بالسيوف!! ولعبدوه من دون الله!! فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يداي هذا ولا يقاربه ، وأقاموا لها سدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد !

فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك ، ودعوا عنده ، وسنوا ذلك لمن بعدهم ، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم ، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل ، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنده ولا استشفى به ولا استسقى به ولا استنصر به ، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه ، وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا يكون ؛ فإن كان أفضل فكيف خفي

علما وعملا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم وتظفر به الخلوف علما وعملا .

ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فإن المضطر يتشبث بكل سبب وإن كان فيه كراهة ما فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه ! هذا محال طبعاً وشرعاً .

فتعين القسم الآخر وهو أنه لا فضل للدعاء عندها ولا هو مشروع ولا مأذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة إلى ما تقدم من المفاصد ومثل هذا مما لا يشرعه الله ورسوله ألبتة . بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة لم يشرعها الله ولم يتزل بها سلطاناً .

ومن له خبرة بما بعث الله تعالى به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب وأنهم على شيء والسلف على شيء ... والأمر والله أعظم مما ذكرنا...»^(١).

(١) إغاثة اللفهان لابن قيم الجوزية (١٨٢/١ - ٢١٣) باختصار .

أسباب ضلال عباد الأضرحة والقبور :

لهذا الشرك أسباب أدت للوقوع فيه من أهمها :

- ١- التهاون بالبدع عند أول حدوثها واستسهالها وعدم الإنكار على من فعلها .
- ٢- «الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد وقطع أسباب الشرك .

٣- اعتماد الأحاديث المكذوبة المختلفة التي وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مما يناقض دينه وما جاء به كحديث: " إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور" ، وحديث " لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه " ، وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها المشركون وراجت على أشباههم من الجهال الضلال ، والله بعث رسوله يقتل من حسن ظنه بالأحجار وجنب أمته الفتنة بالقبور بكل طريق كما تقدم .

٤- التصديق بحكايات حكيت لهم عن تلك القبور أن فلاناً استغاث بالقبير الفلاني في شدة فخلص منها ، وفلاناً دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت له ، وفلاناً نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره ، وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره ، وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات ، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها وإزالة ضروراتها ، ويسمع بأن قبر فلان ترياق مجرب ، والشيطان له تल्पف في الدعوة فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده ؛ فيدعو العبد بحرقه وانكسار وذلة ؛ فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لأجل القبر ؛ فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحمام والسوق أجابه فيظن الجاهل أن للقبير تأثيراً في إجابة تلك الدعوة .

والله سبحانه يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً وقد قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٢٦

وقد قال الخليل : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الإسراء : ٢٠] ،

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٢٦

[البقرة : ١٢٦] .

فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه ولا محباً له ولا راضياً بفعله فإنه يجيب البر والفاجر والمؤمن والكافر ، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه أو يشترط في دعائه أو يكون مما لا يجوز أن يسأل فيحصل له ذلك ، أو بعضه فيظن أن عمله صالح مرضي لله ، ويكون بمترلة من أمله له وأمد بالمال والبنين وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات ، وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ إِذَا كنتم سُكَرَانَ بَلَغَ سُكْرَانِكُمْ أَوْ كُنْتُمْ مُذْهِبِ أَلْبَانِكُمْ أَوْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَعْقِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٦]؛ فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعي ، وقد يكون مسألة تقضى به حاجته ، ويكون مضرة عليه إما أن يعاقب بما يحصل له ، أو تنقص به درجته ؛ فيقضي حاجته ويعاقبه على ما جرأ عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده .

والمقصود أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه « (١) » .

(١) إغائة اللهفان لابن قيم الجوزية (١/٢١٤ - ٢٢٣) باختصار .

المطلب الثاني : تتبع أماكن الأنبياء والصالحين وآثارهم

لقد صار قصد القبور والمشاهد وتبعية آثار الأنبياء من أهم الأعمال عند كثير من المتصوفة حتى بُدِّل الدين ووقعوا في مشابهة المشركين ومنحرفي أهل الكتاب ، فالسفر لزيارة الأضرحة وتعظيم الآثار ، وتعظيم الأشجار التي يزعمون أنه صلى عندها نبي أو ولي ، ونحو ذلك : أمرٌ اشتهر عند هؤلاء .

نشأة هذه البدعة :

إن التعلق بالأنبياء والصالحين والغلو فيهم وفي آثارهم هو من أسباب حدوث الشرك الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم . وقد كان بداية مثل هذا الشرك في قوم نوح ولا يزال يتجدد .

وهذه البدعة تظهر نشأتها في عهد التابعين عندما رأى عمر أولئك الذين يتبعون آثار النبي صلى الله عليه وسلم في مكان صلاته ، ومكان بيعة الرضوان فقطع عمر آثار هذا الإحداث . ولا يزال يقع في النفوس وتتجدد مثل هذه المخالفات .

ثم زاد الأمر على ذلك حتى وصل الحال بكثير من المنتسبين إلى الإسلام إلى أمور منكرة جداً ، ووقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من غربة الدين ، وعبادة طوائف من أمته الأوثان^(١) ، واضطراب أليات نساء دوس على ذي الخلصة^(٢) ، واتباع سنن من كان قبلنا من الأمم التي وقع فيها التبديل والتحريف والشرك .

والإمام مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة ، أنكروا ما أحدثه بعض الناس من تحري أماكن في المدينة وبعض المساجد غير قباء ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) أبوداود (٣٧١٠) ، الترمذي (٢١٤٥) ، ابن ماجه (٣٩٤٢) ، أحمد (٢٧٨/٥ ، ٢٨٤) وأصله في صحيح مسلم (٥١٤٤) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(٢) ذو الخلصة : صنم كان يعبد في الجاهلية ، وقد وجد من يعبده ويطوف حوله في زمن قريب ، والحديث رواه البخاري (٦٥٨٣) ، ومسلم (٥١٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فقد روى ابن وضاح : أنهم كانوا يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار للنبي صلى الله عليه وسلم ، ما عدا قباءً وأحدًا^(١) .

قال ابن وضاح : وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه، ولم يتبع الآثار، ولا الصلاة فيها، وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يقتدى به، وقدم وكيع أيضاً مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان ، قال ابن وضاح: فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين، فقد قال بعض من مضى : "كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس ؛ كان منكراً عند من مضى !! ومتحجب إليه بما يُبغضه إليه ، ومتقرب إليه بما يبعده منه ، وكل بدعة عليها زينة وبهجة !!"^(٢) .

وزاد الأمر وتفاقم الخطب حتى عظمت الأضرحة والمزارات والقبور وصار تراها عند كثير من المتأخرين مباركاً نافعاً مؤثراً ، بل صارت بعض الأشجار والأحجار والصخور مقامات مقصودة تقبل النذر وتشفي المرضى ، وتُقصد للزيارة والجلوس والعكوف ، وصارت المغارات والكهوف والمواضع تحاك لها القصص وتروى الأباطيل بأن هذه المغارة قد مر فيها الخضر ، أو جلس عليها نبي ، أو كان فيها رجل صالح ، ثم يزورها بعض المنتسبين إلى العلم والشيوخ الجهال بالسنة ، ثم العوام والطغام ، فلا تسأل عما يحدث من الشرك الأكبر والتعلق بغير الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهل هذا إلا مثل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذات الأنواط التي طلب بعض الصحابة مثلها «إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم»^(٣) .

إن الأمر الذي وقع فيه المتأخرون أشد بكثير من تعليق الأسلحة على الشجرة تبركاً إنه سلوك سبيل المشركين المبدلين المحرفين .

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٠٧) .

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٠٧) ص ٨٨-٨٩ .

(٣) الترمذي (٢١٨٠) ، أحمد (٢١٨/٥) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية: « فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ، ويعظمونها ، ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، ويضربون بها المسامير والخرق ، فهي ذات أنواط فاقطعوها » (١) .

وقال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب «البدع والحوادث»: « ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للامة : تخليقَ الحيطان والعُمد، وسرَّجَ مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ، ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي من بين : عيون ، وشجر ، وحائط ، وحجر .

وفي مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعونية الحما خارج باب توما ، والعمود المخلق داخل باب الصغير ، والشجرة الملعونة اليايسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث — ثم ذكر الحديث المتقدم وكلام الطرطوشي الذي ذكرنا — ثم قال: « ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبنياني رحمه الله تعالى أحد الصالحين ببلاد أفريقية في المائة الرابعة حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد ابن أبي العباس المؤدب أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية ، كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق ، من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت : امضوا بي إلى العافية ، فتعرف بها الفتنة ، قال أبو عبد الله: فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن » (٢) .

(١) الحوادث والبدع ص ١٨-١٩ .

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ٤٠-٤٣، وانظر كلام ابن القيم في جهود شيخه شيخ الإسلام في كسر هذه الأصنام وإزالتها في إغاثة اللهفان (٢٤٢/١) .

وذكر ابن القيم نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: «فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله، ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر، وهذه الشجرة، وهذه العين تقبل النذر!! أي: تقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له»^(١).

ومن أهم أسباب ذلك الغلو في الصالحين وتتبع آثارهم والتعلق بذلك، أو ظن نفع مكان وصلاحيته للدعاء وتحري العبادة.

ومن ذلك ما وقع فيه كثير من الصوفية وغيرهم من استحباب التبرك بذوات الصالحين من ريقهم وعرقهم وثيابهم ونحو ذلك.

وهذا خطأ مخالف للسنة من أوجه:

منها: عدم جواز مقارنة النبي صلى الله عليه وسلم بالصالحين فضلاً عن المساواة في الفضل والبركة.

ومنها: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي صلى الله عليه وسلم لا في حياته، ولا بعد موته.

ولو كان خيراً لسبقونا إليه، فلم يفعلوا ذلك مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم ولم يفعل هذا التابعون مع كبارهم وفضلاءهم، فدل على إجماع القرون المفضلة على أن ذلك من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الأوجه الدالة على عدم جواز مثل هذا أن الشخص الحي لا تؤمن عليه الفتنة وأن يحتتم له بخاتمة السوء، والأعمال بالخواتيم.

ومن الأوجه الدالة على المنع من هذه البدعة أن فعل هذا مع غير النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أن يفتنه، وتعجبه نفسه فيورثه العجب والكبر والرياء، فيكون هذا كالممدح في الوجه بل أعظم.

(١) إغاثة اللهفان (٢٤٢/١).

ومن ذلك أن هذا الفعل من أسباب الغلو وهو قد يفضي إلى الشرك كما وقع لكثير من هؤلاء.

ولا يدخل في هذا ما يكون من بركات الصالحين من المنافع الدينية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصيحة ، والقُدوة الحسنة ، والمحافظة على الصلوات وحسن أخلاقهم ، والإحسان إلى الآخرين .

ومن ذلك ما يحصل بسبب بركة الصالحين من النصر على الأعداء والبركة في معاشهم ففي صحيح البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» وفي رواية للنسائي: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها وبدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم»^(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فهذا حق ولا شك في ثبوته ولكن لا يقتضي هذا إحداث التبرك بدواتهم في حياتهم أو بعد مماتهم .

وقد جاءت النصوص والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالنهي عن التعلق بغير الله ، فمن ذلك حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم ، فقالوا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: ﴿لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ مَعَنَا لَتَرْكَبُنَا صَبْرًا﴾" [الأعراف: ١٣٨] والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم"^(٢) .

وأخرج ابن وضاح في البدع والنهي عنها من طريق المعرور بن سويد قال : خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة ، فلما أصبحنا صلى الغداة ، ثم رأى الناس

(١) البخاري (٢٦٨١) ، النسائي (٤٥/٦) ، وانظر : الاعتصام للشاطبي (٩-٨/٢) ، الحكم الجديدة بالإذاعة لابن رجب، ص ٥٥ .

(٢) الترمذي (٢١٨٠) ، أحمد (٢١٨/٥) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

يذهبون مذهباً ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ قيل : يا أمير المؤمنين ، مسجدٌ صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هم يأتون يصلون فيه ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعا ، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها (١) .

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طريق الأعمش عن المعرور بن سويد قال خرجنا مع عمر في حجة حجها ... فلما قضى حجه ورجع ؛ والناس يتندرون ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هكذا هلك أهل الكتاب ؛ اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا ، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يصل (٢) .

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين قال : كانوا يكرهون أن يعتروا (٣) آثار الأنبياء .

وأخرج ابن وضاح عن نافع مولى ابن عمر قال أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويح تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها ؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة (٤) .

وروى الإمام أحمد في المسند أن عمر رضي الله عنه كان بالجابية ... فذكر بيت المقدس ... فقال لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، فكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر : ضاهيت اليهودية ؛ لا ولكن أصلي حيث صلى

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٠٤-١٠٧) .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٥١/٢ رقم ٧٥٥١) .

(٣) كذا في المطبوع وفي اللسان (٥٥٧/٤) : "واعتره ، واعتر به ؛ إذا أتاه فطلب معروفه " ، أو أنها محرفة من كلمة (يتبعوا) .

(٤) البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٠٧) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فيسط رداءه فكس الكناسة في رداءه ، وكس الناس (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فعمر رضي الله عنه عاب على كعب الأبحار مضاهاة اليهودية أي مشابقتها في مجرد استقبال الصخرة لما فيه من مشابهة من يعتقدونها قبلة باقية وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها ، وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المحكمة ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية » (٢) ، ولما خاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مثل هذه الاعتقادات الفاسدة جاء إلى الحجر الأسود فقبله وقال : " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك " (٣)

وقد أنكر ابن عباس على معاوية رضي الله عنهما لما استلم الأركان الأربعة من البيت فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه طاف مع معاوية رضي الله عنه بالبيت فجعل معاوية يستلم الأركان كلها فقال له ابن عباس لم تستلم هذين الركنين ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمهما فقال معاوية ليس شيء من البيت مهجورا فقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقال معاوية : صدقت (٤) .

وأنكر قتادة رحمه الله على الذين يمسحون مقام إبراهيم ، كما ذكر الأزرقى في كتاب تاريخ مكة عن قتادة في قوله تعالى : $\text{أَمْ يَدْعُونَ بِهِ نَارَ الْبَرِّقِ أَمْ يَدْعُونَ بِهِ نَارَ الْبَرِّقِ أَمْ يَدْعُونَ بِهِ نَارَ الْبَرِّقِ}$ [البقرة : ١٢٥] ، قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ، ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا مما تكلفته الأمم قبلها ، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابه ، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحي (٥) .

(١) أحمد (٣٨/١) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٣٦/١) .

(٣) البخاري (١٤٩٤) ، مسلم (٢٢٣٠) .

(٤) البخاري (١٤٩٤) ، أحمد (٢١٧/١) .

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٥٣٧/١) ، وأخرجه الأزرقى في تاريخ مكة (٤٠/٢) .

وروي عن مجاهد وعطاء النهي عن تقبيل المقام ومسه (١).
فهذه بعض الآثار عن الأئمة المتقدمين في إنكار هذه البدع في أوائل حدوثها ، وبناء
على ما تقدم يتضح بطلان هذه البدعة التي يتمسك بها كثير من الصوفية ، والله المستعان .

(١) المصنف لعبد الرزاق (١٩٥٧) ، المصنف لابن أبي شيبة (٦١/٤) .

المطلب الثالث : بدعة السماع

المراد به التقرب إلى الله تعالى بسماع أناشيد وأبيات غزلية أو وعظية ملحنة فيها ذكر الهجر والوصل ، والقرب والبعد ، والعذاب والملامة ، والعدل واللوم ، والحب والعشق ، والحبيب والمعشوق ، والقدود والحدود ، والحسن والجمال ، والخمر والكؤوس ، والساقى والسيقان ، مع الآلات وبدونها مكاء وتصدية وهذا حال هؤلاء الصوفية وهذا سماعهم ويعرضون عن سماع القرآن والأحاديث .

نشأة هذه البدعة :

وهذا إنما أحدث في أواخر المائة الثانية كما تواتر عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال: خَلَّفْتُ ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه " التغير " يصدون به الناس عن القرآن ^(١).
ونقل أبو بكر الطرطوشي عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال في الغناء: (إنما يفعله عندنا الفساق » ^(٢) وقال يزيد بن هارون : ما يُعَبَّرُ إلا الفاسق ومتى كان التغير .
وسئل عنه الإمام أحمد فقال : أكرهه هو محدث . قيل : أنجلس معهم ؟ قال : لا ^(٣).
وأما الصوفية فيرونه ديناً وقربة وعملاً صالحاً !!
بل ربما صاحب ذلك الرقص في بعض الأحيان ، يقول أحد هؤلاء : « الرقص عند الصوفية تعبيرات الأعضاء ، وهو مما جرى عليه الشيوخ قرناً بعد قرن ، وتجويزه كان بناء على كونه : «عليه الجمهور ! واتفق عليه الصوفية ، وبه عمل الناس شرقاً وغرباً !!» ^(٤) .
ويجوزون آلات الطرب في هذه المجالس وهي عندهم مما يعين على الذكر !! ^(٥)

(١) التصوف والمجتمع لعبد اللطيف الشاذلي ص ١٠٥ .

(٢) نقل ذلك ابن قيم الجوزية عن كتاب السماع للطرطوشي في إغاثة اللفهان (١ / ٢٢٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (١١ / ٥٦٩) .

(٤) إغاثة اللفهان لابن قيم الجوزية (١ / ٢٣٩) .

(٥) الحاوي في فتاوى عبد الله بن الصديق الغماري ص ٢٨ .

ويذكرون في سماعهم وغنائهم الغلمان والخمور والكؤوس والحدود والقُدود،
وزعموا أنهم عنوا بها معاني مجازية ، وأنوا على الأوتار والمعازف .
ومن ذلك قول عبد الغني النابلسي في ديوانه :

تجلى وجه محبوبي	وهذا كل مطلوبي
فيا نار العدا ذوي	بعيد عنك مشروبي
ومن ذلك قوله :	
علينا الخمر قد دارت	بها ألبأبنا حارت
وأطيّار الهوى طارت	بترتيب وأسلوب

وأجازت الطريقة الميئوية عند الإنشاد العزف على الآلات الموسيقية على اختلاف أنواعها ، وفي الحضرة يرقص المردان ، وهم يلبسون الفوط كالحراطات النسائية .
وينشون ويتمايلون على أنغام الآلات الموسيقية مما يثير الشهوات ويحرض على الفواحش^(١) ، ويقول د. زكي مبارك : إن مجالس الصوفية كانت تنقلب أحياناً إلى مجالس فنية الغرض منها الغناء ، وكانت مدارس لتخريج المغنين !!^(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

" وأما سماع المكاء والتصديّة : وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية ، سواء كان بكفّ ، أو بقضيب ، أو بدف ، أو كان مع ذلك شبابة ؛ فهذا لم يفعله أحد من الصحابة لا من أهل الصفة ولا من غيرهم ؛ بل ولا من التابعين ، بل القرون المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم : "خير القرون الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"^(٣) لم

(١) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (٢/١٨٩-٢٠٠) (٢/٢٦١) (٢/٢٧٨) ، وانظر : الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣٤٢-٣٤٧ .

(٢) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق (٢/٢٦٧-٢٦٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٨) ، ومسلم (٤٥٩٩) عن ابن مسعود بنحوه .

يكن فيهم أحد يجتمع على هذا السماع ، لا في الحجاز ، ولا في الشام ، ولا في اليمن ، ولا العراق ، ولا مصر ، ولا خراسان ، ولا المغرب .

وإنما كان السماع الذي يجتمعون عليه سماع القرآن ، وهو الذي كان الصحابة من أهل الصفة وغيرهم يجتمعون عليه ؛ فكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقي يستمعون" (١).

وذكر رحمه الله أن ما يُنقل من استماع بعض الصحابة للحداء بقصد صلاح القلوب أو أنهم تواجدوا لأجل ذلك : كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم .

وقال أيضاً :

" أما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم - فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة . قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله :

قوله : *أما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم - فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة . قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله :*

وقال : *أما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم - فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة . قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله :*

وقال : *أما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم - فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة . قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله :*

بتدبره هو القول الذي أمروا باستماعه . وقد قال تعالى : *وقال : أما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم - فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة . قال الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله :*

... [محمد : ٢٤] ...

(١) مجموع الفتاوى (٥٨/١١) .

وكما أثنى على هذا السماع ذم المعرضين عن هذا السماع ؛ فقال تعالى : ﴿...﴾
 وقال تعالى : ﴿...﴾ [لقمان : ٧] ، وقال تعالى : ﴿...﴾ [فصلت : ٢٧] ، وقال تعالى :
 ﴿...﴾ [الفرقان : ٣٠] ...

وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا إذا
 اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 يقول لأبي موسى : يا أبا موسى ؛ ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون .

وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه ويستدعيه
 منهم كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ علي
 القرآن قلت : أقرؤه عليك وعليك أنزل ! فقال : "إني أحب أن أسمعه من غيري " . فقرأت
 عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية . ﴿...﴾
 [النساء : ٤١] قال : "حسبك " فنظرت فإذا عيناه تذرفان (١) ... وأما «
 سماع المكاء والتصديعية» وهو التصفيق بالأيدي والمكاء مثل الصفيق ونحوه ، فهذا هو سماع
 المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله : ﴿...﴾
 [الأنفال : ٣٥] فأخبر عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قرينة
 وديناً . ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا
 حضوره قط ، ومن قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك ، فقد كذب عليه باتفاق
 أهل المعرفة بحديثه وسنته ...

وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع
 لصالحه أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو
 ضرب بالقضيب أو الدف .

(١) البخاري (٤٢١٦) .

غير تمييز ، كما يحصل للنفس إذا سكرت بالرقص للجسد أيضاً إذا سكر بالطعام والشراب ، فإن السكر هو الطرب الذي يؤثر لذة بلا عقل ، فلا تقوم منفعته بتلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل التي صدت عن ذكر الله وعن الصلاة وأوقعت العداوة والبغضاء^(١).

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى :

« ومن مكاييد عدو الله ومصايدته التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين وصدّ بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء والتصديّة والغناء بالآلات المحرمة ، الذي يصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان ، فهو قرآن الشيطان ، والحجاب الكثيف عن الرحمن ، وهو رقية اللواط والزنا ، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى ، كاد به الشيطان النفوس المبطلّة وحسنه لها مكرّاً منه وغروراً ، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً ، فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات ، وهدأت منهم الحركات ، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه ، وانصبت انصبابة واحدة إليه ، فتمايلوا ولا كتمايل النشوان ! وتكسروا في حركاتهم ورقصهم ؛ أرايت تكسر المخانيث والنسوان ! ويحق لهم ذلك وقد خالط خمارة النفوس ففعل فيها أعظم مما يفعله حميا الكؤوس ، فلغير الله بل للشيطان قلوب هناك تُمزّق ، وأثواب تُشقق ، وأمّوال في غير طاعة الله تنفق ، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله ، وبلغ الشيطان منهم أمّنيته وأمله ، واستفزههم بصوته وحيله ، وأجلب عليهم برجله وحيله ، وخز في صدورهم وخزاً ، وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزّاً ، فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار ، وتارة كالذبّاب ترقص وسيط الديار ، فيا رحمتا للسقوف والأرض من ذك تلك الأقدام ! ويا سوأتاه من أشباه الحمير والأنعام ! ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام... »^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥٩٣-٥٩٤) باختصار .

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٥٤) ، وانظر الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣٥٠ .

قال الطرطوشي رحمه الله تعالى : « الرقص دين الكفار ، وعباد العجل ، وإنما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ... »^(١) .

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : « وأما الرقص والتصفيق : فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث ، لا يفعلها إلا راعن أو متصنع كذاب »^(٢) .

وقال السويدي رحمه الله تعالى : « ومن البدع المنكرة : ما يستعمله المتصوفة من أذكار اشتملت على الدفوف والطبالات والغناء وأنواع الرقص ، ويسمونه حالاً ، وتراهم يعملون ذلك ، ومغنيهم ينشدهم من الشعر المشتمل على ما لا يرضي الله تعالى ، ويحضره الفسقة والمرد والنساء ، فيحصل من ذلك ما تظهر به شعائر الفسق والعصيان ... »^(٣) .

نعم ؛ والله لقد صدوا عن سبيل الله تعالى ، وشوهوا وحرفوا الدين بهذه المنكرات والقبائح ، فيا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام .

(١) كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، مطبوع بمامش كتاب الزواجر لابن حجر الهيتمي (٥٢/١) .

(٢) قواعد الأحكام (٢٢٠/٢) .

(٣) العقد الثمين في بيان أصول الدين للسويدي ص ٧٢٥-٧٢٦ .

المطلب الرابع : بدع الذكر :

ذكر الله تعالى من أجل العبادات وأفضل الطاعات ، وأفضل الذاكرين هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يذكر الله تعالى على كل أحيانه ، واقتدى به أصحابه وأتباعهم بإحسان رضي الله عنهم ، ولكن حصل انحراف لبعض الناس في هذه العبادة الجليلة بأنواع من الغلو والزيادة عن الأمر المشروع ؛ مثل الذكر الجماعي والذكر بالاسم المفرد والصعق والغشي وغير ذلك .

١ - بدعة الذكر الجماعي :

المقصود بها الاجتماع لأداء الذكر بطريقة موحدة ومرتبة وبصوت جماعي مشترك .

نشأة هذه البدعة :

لبيان أول ما وقعت هذه البدعة في الإسلام أورد ما رواه الدارمي رحمه الله في سننه : أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال لابن مسعود رضي الله عنه: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته ، ولم أر والحمد لله إلا خيراً ، قال : فما هو ؟ فقال : إن عشت فستراه .

قال : رأيت في المسجد قوماً حلقتاً جلوساً ينتظرون الصلاة ، في كل حلقة رجل ، وفي أيديهم حصى ، فيقول : كبروا مائة ، فيكبرون مائة ، فيقول : هللوا مائة ، فيهللون مائة ، ويقول : سبحوا مائة ، فيسبحون مائة ، قال : فماذا قلت لهم ؟ قال : ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وانتظار أمرك ، قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم ، ثم مضى ومضينا معه ، حتى أتى حلقة من تلك الحلقة ، فوقف عليهم ، فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح ، قال : فعدّوا سيئاتكم ! فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم ! يا أمة محمد ... ما أسرع هلكتكم ؟ هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبّل وآنيته لم تُكسر ، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد ؛ أو مفتتحو باب ضلالة ! قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال : وكم من مرید للخير لن يصيبه ؛

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا : " أن قوماً يقرءون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم " ،
وأيهم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم ، فقال عمرو بن سلمة : رأينا عامة أولئك
الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج " (١) .

وفي رواية أخرى من طريق عطاء بن السائب عن أبي البخترى قال أخبر رجل عبد الله
ابن مسعود أن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول : كبروا الله كذا وكذا ،
سبحوا الله كذا وكذا ، واحمدوا الله كذا وكذا . قال عبد الله : فيقولون ؟ قال : نعم ؛ قال :
فيذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم ، فأتاهم وعليه برنس له ، فلما سمع ما يقولون
قام وكان رجلاً حديداً فقال : أنا عبد الله بن مسعود ، والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة
ظلماً ، ولقد فضلتكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علماً ، فقال معضد : والله ما جئنا
ببدعة ظلماً ولا فضلتنا أصحاب محمد علماً ، فقال عمرو ابن عتبة : يا أبا عبد الرحمن ؛ نستغفر
الله ، قال : عليكم بالطريق فالزموه ، فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ، ولئن أخذتم يميناً
وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً ... (٢) .

وسياتي توسع الصوفية في هذه البدعة وتطورها عندهم ، في الفقرة الآتية .

(١) سنن الدارمي (٧٩/١) .

(٢) الحلية لأبي نعيم (٣٨٠/٤-٣٨١) ، وأخرج هذه القصة ابن وضاح في البدع والنهي عنها من وجه
آخر مختصر (١٤ ، ٢١-٢٢ ، ٢٧) .

٢- بدع الصعق والغشي

مثل الرقص والقفز والتمايل والسقوط والصياح والرعدة عند الذكر ونحها ، وهي أمور عارضة ناشئة عن الضعف ، والبدعة اعتقاد فضلها والرضا بها والثناء على من فعلها ، وأول ما حدثت هذه البدعة في عهد التابعين ، وقد أنكر ابن سيرين وغيره من أهل العلم على من فعل ذلك .

فعن عمرو بن مالك قال : بينما نحن يوماً عند أبي الجوزاء يحدثنا إذ خرّ رجلٌ فاضطرب ، فوثب أبو الجوزاء فسعى قبله ؛ فقيل : يا أبا الجوزاء إنه رجل به الموت ، فقال : إنما كنت أراه من هؤلاء القفازين ، ولو كان منهم لأمرت به وأخرجته من المسجد ، إنما ذكرهم الله فقال تفيض أعينهم وتقشعر جلودهم^(١) .

٣- بدعة الذكر بالاسم المفرد أو المضمّر :

ينقسم الذكر عند الصوفية إلى ذكر للعامة وذكر للخاصة !! فذكر العامة هو الوارد في السنة مثل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، و الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ونحو ذلك . وأما ذكر الخاصة فهو قول الذاكر : الله ، الله ، الله ، أو هُوَ هُوَ هُوَ ، أو حَيَّ حَيَّ حَيَّ ، ونحو ذلك ، يقول أحد الصوفية المعاصرين : " يعتبر أئمة السير إلى الله ؟ ! ذكر اسم الله المفرد أقرب طريق للوصول إلى المعرفة الذوقية لله ، والوصول إلى مقام الإحسان "^(٢) ، ويقول : " وإني بفضل الله مع إني مأذون على طريقة الصوفية بتلقين الأوراد عامة ، بتلقين الاسم المفرد "^(٣) .

(١) الحلية لأبي نعيم (٨٠/٣) يشير إلى قوله تعالى : $\text{أَبْرَأَ لِلَّهِ الذِّكْرَ وَابْتِغَاءَ وَجْهِهِ أَلْفَ مِائَةٍ أَوْ مِائَةً أَوْ خَمْسِينَ مِائَةً مَنِ اسْتَجَابَ لِلْحَدِيثِ غَشِيَ عَنَتَهُ جَنَنٌ مِّنْ أَسْفَلٍ لَّا يَخْرُجُ مِنْهَا وَلَئِنَّ بِرَأْيِهِ لَنُجُومٌ مِّنْ نُجُومِ السَّمَاوَاتِ وَرَأْيُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ رَأْيِنَا وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ$.

(٢) كتاب تربيتنا الروحية لسعيد حَوّى ص ٢٩٧ ، وانظر إحياء علوم الدين للغزالي (٢٠٩/١) .

(٣) كتاب تربيتنا الروحية ص ١٦ ، وانظر ص ١١٤-١١٥ .

وعمدتهم في ذلك طلب تفريغ الخاطر من الواردات ، وجمع القلب حتى تستعد النفس لما يترل عليها ، وقد خفي على هؤلاء أن الوارد الشرعي الديني ممنوع ومحظور على من لم يأت من الباب النبوي والطريق المحمدي ، وأن السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، والاسم المفرد مظهراً أو مضمراً ليس بذكر ولا كلام ، ولم يرد ما يدل على مشروعيته . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ، ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ، ولا أمر ولا نهي ، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ، ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ، ولا حالاً نافعاً ، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات ؛ فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه ، وإلا لم يكن فيه فائدة .

والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصله بغيره . وقد وقع بعض من واطب على هذا الذكر في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد . كما قد بسط في غير هذا الموضوع فإن من قال : يا هو يا هو ، أو : هو هو . ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدي وقد يضل ، وقد صنف صاحب " الفصوص " كتاباً سماه كتاب « أَلْهُو » والله تعالى لا يأمر أحداً بذكر اسم مفرد ، ولا شرع للمسلمين اسماً مفرداً مجرداً ، والاسم المجرد لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام ، ولا يؤمر به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قال في يومه مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه " (١) . و " من قال في يومه مائة مرة : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر " (٢) ... وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى :

(١) البخاري (٣٢٩٣) ، مسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

(٢) البخاري (٦٤٠٥) ، مسلم (٢٦٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

و قوله : [الأنعام : ١٢١] ، وقوله : [المائدة : ٤] إنما هو قوله : بسم الله ... وأمثال ذلك كثير .

وكذلك ما شرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم من ذكر الله تعالى إنما هو بالجملة التامة . كقول المؤذن : الله أكبر . الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله ؛ أشهد أن محمداً رسول الله . وقول المصلي : الله أكبر . سبحان ربي العظيم . سبحان ربي الأعلى . سمع الله لمن حمده . ربنا ولك الحمد . التحيات لله . وقول الملبى : لبيك اللهم لبيك . وأمثال ذلك . فجميع ما شرعه الله من الذكر إنما هو كلام تام . لا اسم مفرد لا مظهر ولا مضمرة ... والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره " بجملة تامة " وهو المسمى بالكلام ، والواحد منه بالكلمة ، وهو الذي ينفع القلوب ، ويحصل به الثواب والأجر والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية .

وأما الاقتصار على " الاسم المفرد " مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين ؛ بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات ، وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد ^(١) .

الداعي لهذه البدعة عندهم :

سبب فعل الصوفية هذه البدعة ليس هو تعظيم الله ولا اتباع النصوص الشرعية ، وإنما هو حيلة شيطانية ، يقول ابن تيمية : " ولهذا صار من يأمر به من المتأخرين يبين أنه ليس مقصودنا ذكر الله تعالى ، ولكن جمع القلب على شيء معين ؟ ! حتى تستعد النفس لما يرد عليها ... وأبلغ من ذلك من يقول : ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان ، حتى يقول : " لا فرق بين قولك يا حي ، وقولك : يا جحش " !! وهذا مما قاله لي شخص وأنكرت ذلك عليه ، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتزل عليها الشيطان " ^(٢) .

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٦-٢٣٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٣٩٦-٣٩٧) .

شبه يحتاجون بها على بدعة الذكر المفرد :

١- احتجاج بعضهم على ذلك بقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَلِيَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ الْبَاطِلَ﴾ [الأنعام : ٩١] وهذا من آيين غلط فإن الاسم هو مذكور في الأمر بجواب الاستفهام . وهو قوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَلِيَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ الْبَاطِلَ﴾ إلى قوله ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَلِيَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ الْبَاطِلَ﴾ الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول : من جاره ؟ فيقول : زيد .

٢- " وزعم بعضهم أن قوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَلِيَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ الْبَاطِلَ﴾ [آل عمران : ٤] معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو " الهو " . وقيل هذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من آيين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء . حتى قلت مرة لبعض من قال شيئاً من ذلك : لو كان هذا كما قلته لكُنْتُبْتُ « وما يعلم تأويل هو » منفصلة " (١) .

٣- واحتج بعضهم بما في القرآن من قوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَلِيَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ الْبَاطِلَ﴾ [الأعلی : ١] وقوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَلِيَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ الْبَاطِلَ﴾ [الواقعة : ٩٦] ونحو ذلك قالوا فهذا أمر بذكر الاسم وهو يصدق على من قال : الله الله الله ! (٢)

وهذا باطل فإن الآيات التي فيها الأمر بذكر اسم الله تعالى لا تقتضي ذكره مفرداً ... فتسبيح اسم الرب الأعلى ، وذكر اسم الرب ونحو ذلك ، هو بالكلام التام المفيد كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أفضل الكلام بعد القرآن أربع - وهن من القرآن - سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " (٣) ، وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٧-٢٢٨) .

(٢) هذه الحجج يذكرها الآن غالب من يدعي الاعتدال في التصوف ، كصاحب كتاب التصوف بين الإفراط والتفريط ص ٢٢٠-٢٢٣ .

(٣) مسلم (٣٩٨٥) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

أنه قال : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " (١) .

٤ - اعتماد أدعية لم ترد واتخاذها سنة :

وهذا كثير في أدعية الصوفية ، كالقول الذي يروى عن إبراهيم بن أدهم : اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة فما دونها !! إذا أنت وهبت لي حبك ، وأنستني بمذاكرتك ، وفرغتني للتفكر في عظمتك ، فأعط الجنة لمن شئت !! (٢) .

ودعاء الصاحب : اللهم ارزقني علم الخائفين ، وخوف العاملين ، ويقين المتوكلين ، وتوكل الموقنين ، وشكر الصابرين ، وصبر الشاكرين ، وإحبات المنيين ، وإنابة المخبتين ، وزهد الصادقين ، وألحقي بالشهداء ، والأحياء المرزوقين آمين يا رب العالمين !! (٣) .

وأدعية أخرى كثيرة مخترعة بعيدة كل البعد عن أدعية النبي صلى الله عليه وسلم التي اشتملت على جوامع الدعاء ، وكان صلى الله عليه وسلم يستحب جوامع الدعاء ويدع ما سواه .

ومن العجيب انتشارها والرغبة فيها أعظم من الرغبة فيما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعجب من ذلك زعم بعضهم تلقي هذه الأذكار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاهاً كما قال أحدهم :

أوراده من رسول الله قد رويت كذا أفعاله والسر مأثور

فيجمعون بين الكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين الافتراء على الإسلام ، والصد عن سبيل الله تعالى ، والإحداث في الدين ، والتبديل للشريعة .

ثم تطورت بدع الذكر عندهم حتى وصل الأمر إلى أدعية فيها توسلات مخترعة ،

وكلمات مبهمه ؛ تدل على الاستغاثة بغير الله ، وتعظيم الجن وغيرهم بسؤالهم وندائهم !!

(١) البخاري (٥٩٢٧) ومواضع أخرى ، مسلم (٤٨٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) حلية الأولياء (٣٦-٣٥/٨) .

(٣) حلية الأولياء (٧٠/٨) ، وانظر دعاء ذي النون المصري العابد في الحلية (٣٣٢/٩) .

فمن أورد الطريقة الشاذلية التي تلقاها ابن إدريس وأخذها عن شيخه ، وقد زعم ابن إدريس أنه تعلمها مشافهة من النبي حال اليقظة لا حال المنام..!! وهذا من أبين الكذب . وهذا نص الدعاء المفترى وهو عجيب وغريب :

"بكهيصص كفيت ، بجمعسق حميت ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، اللهم أمنا من كل خوف وهم وغم وكرب ، كد كد كردد كرده ده ده ده !! الله رب العزة كتب اسمه على كل شيء أعزه ، خضع كل شيء لعظمة سلطانه ، اللهم أخضع لي جميع من يراني من الجن والإنس والطير و الوحوش والهوام"!! ظهور بدعق محبة صورة سقاطيس سقاطيم آحون ق آدم حم ها يا هو يا غوثاه يا من ليس للراجي سواه بما في اللوح من اسم خفي وبالذكر الحكيم وما تلاه وبالقبر الشريف وزائريه وبالقدس العلي وما حواه تقبل ربنا منا دعانا"!!

ومن ذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة عند الطائفة التيجانية بصلاة الفاتح وصيغتها : «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم» ، وزعموا أيضا أن هذه الصلاة نزلت من السماء. فقد قال الفوتي الطوري مؤلف كتاب « رماح حزب الرحيم » : " ويجب أن يعتقد الذاكر أنها من كلام الله " (١).

وقال مؤلف كتاب - الدرة الخريدة : " ويعتقد المصلي أنها في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف زيد ولا عمرو بل هي من كلامه سبحانه وتعالى " (٢).

وقال صاحب الجواهر :

" إنها لم تكن من تأليف البكري ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة المكتوبة في صحيفة النور ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها مكتوبة في صحيفة من النور ، ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا

(١) رماح حزب الرحيم (١٣٩/٢)، وانظر طبقات الشعراي (١٤٥/١) .

(٢) الدرة الخريدة (١٢٨/٤) .

تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة !! قال الشيخ : وقد أخبرني صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم الأعظم فقلت : إنها أكثر منه ، فقال صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم منها ولا تقوم له عبادة" (١).

وقال في بيان فضلها:

"وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق إلخ.. فقد سمعت شيخنا يقول : كنت مشتغلا بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها، وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة ، كما هو في وردة الجيوب ، وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً ، قال : إن من ذكرها ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها ، وهي « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاما يعدل سلامهم» ، ولما رأيت فيها من كثرة الفضل ، ثم أمرني بالرجوع صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها؟ فأخبرني أولاً : بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات !! ثم أخبرني ثانياً : أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ، ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار" (٢).

فانظر كيف هذا الإعراض عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة الثابتة عنه في صفة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد علم أصحابه هذه السنة كما في البخاري ومسلم من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ؛ كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؛ فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم

(١) جواهر المعاني (١ / ٩٦).

(٢) جواهر المعاني (١ / ٩٤).

قال صلى الله عليه وسلم: "قولوا اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد؛ كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد؛ كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد" (١).

وهذا من آثار بدعهم الشنيعة فقد تدرجت البدع عندهم من إحداثات صغيرة، ثم زادت وعظمت حتى صارت لهم أحزاب وأوراد ولكل شيخ حزب خاص وطريقة، ثم إلى كلام كفري شركي مخرج من الملة نسأل الله العافية والسلامة.

فرحم الله الإمام أحمد حينما سأله أبو بكر الأثرم: بماذا أدعو بعد التشهد؟ فقال: بما جاء في الخبر، قلت له: أو ليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم ليتخير من الدعاء ما شاء"، قال: يتخير مما جاء في الخبر، فعاودته، فقال: ما في الخبر (٢).

وهذا من الإمام أحمد بيان لعظم السنة والأدعية النبوية والحذر من التوسع في غيرها؛ لمثل هذا وغيره صار إمام أهل السنة والجماعة.

وقد ورد عن الأئمة وعلماء هذه الأمة ما يؤكد ما ورد من النصوص في لزوم الأدعية النبوية وكل هذا التشديد في أمر السنة ولزومها حذراً من البدع التي إذا فتح بابها فلا نهاية له، والله المستعان.

قال القرطبي رحمه الله تعالى عند قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأعراف: ٥٥]:

«والاعتداء في الدعاء على وجوه منها: الجهر الكثير والصياح كما تقدم... ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة فيتخير ألفاظاً مفقرة، وكلمات مسجعة، قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا معول عليها، فيجعلها شعاره، ويترك ما دعا به رسوله عليه السلام، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء» (٣).

(١) البخاري (٣١١٩)، مسلم (٦١٤).

(٢) ذم الكلام للهروي (١١٠/٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢٢٤/٧).

قال الشيخ أحمد القصير :

" وقد أقر عدد من الصوفية المعاصرين بوجود شبه كبير بين الذكر عند الصوفية والذكر عند بعض أصحاب الوثنيات القديمة.

يقول مصطفى محمود - وهو من الصوفية المعاصرين : " المتصوف واليوجي والراهب كلهم على درب واحد ، وأصحاب منطق واحد ، وأسلوب واحد في الحياة ، هو الزهد ، واليوجي والراهب والصوفي المسلم يطلبون القرب والوصول بنفس الأسلوب ، بالتسايح ، فيدعون الله بأسمائه ، وهناك يوجا خاصة بالتسايح ، اسمها «المانترا يوجا» ، يضع اليوجي في عنقه مسابح طويلة ، من ألف حبة "

وقال عبدالقادر عطا: "والذي نراه أن هناك وجوها من الشبه قوية بين الطريقة النقشبندية ، وبين اليوجا الهندية ، وحبس النفس في الطريقة النقشبندية ، والتنفس العميق في الويجا من وجوه الشبه البارزة بينهما، وتركيز المعاني في أجزاء من أجهزة الجسم الباطنة ، بغية سرياتها في جميع أنحاء الجسد عمل مشترك بين اليوجا والنقشبندية " (١).

(١) وحدة الوجود عند الصوفية ص ٣٣٤ .

المطلب الخامس : الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم نشأة هذه البدعة :

المشهور أن أول من أحدثه بالقاهرة العبيديون ، كما ذكر ذلك المقرئ وغيره ، وقيل : إن أول من أقام المولد هو الملك المظفر « طغرل » : أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني ، صاحب إربل بالعراق ، وقد توفي عام ٦٣٠هـ^(١) ، وقيل في نشأة هذه البدعة غير ذلك .

وقد وصف ابن العماد الحنبلي ما يصنعه سلطان إربل من التوسع في هذا الاحتفال والمبالغة فيه قال: «وأما احتفاله بمولد النبي فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به ! لكن نذكر طرفاً منه ، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه ، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل مثل بغداد والموصل والحزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي ؛ خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ، ولا يزالون يتواصلون من الحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر منها قبة له ، والباقي للأمرء وأعيان دولته ، لكل واحد قبة ، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة وقعد في كل قبة جوق من المغاني ، وجوق من أرباب الخيال ، ومن أصحاب الملاهي ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات في كل قبة حتى رتبوا فيها جوقاً ، وتبطل معاش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم ، وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان ، فكان مظفر الدين يتزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف عليها قبة قبة إلى آخرها ، ويسمع غناءهم ، ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع ... فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف ، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي... فإذا

(١) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان (١١٣/٤ - ١١٩) ، سير أعلام النبلاء (٣٣٤/٢٢) ، شذرات الذهب لابن العماد (١٣٨/٥ - ١٤٠) .

كانت ليلة المولد عمل السماع بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم يتزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير ، وفي جملتها شمعتان أو أربع — أشك في ذلك — من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل ؛ حتى ينتهي إلى الخانقاه ، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر ، فيتزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده... فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان للعود إلى بلده ، فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة ، وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحية في حرف العين وصوله إلى إربل وعمله إلى « كتاب التنوير في مولد السراج المنير » لما رأى اهتمام مظفر الدين به ، وأنه أعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة !! » (١) .

ويقول المقرئ رحمه الله : " ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم " ، قال : " وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي مواسم (رأس السنة) ، ومواسم (أول العام) ، (ويوم عاشوراء) ، (ومولد النبي صلى الله عليه وسلم) ، (ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه) ، (ومولد الحسن والحسين عليهما السلام) ، (ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام) ، (ومولد الخليفة الحاضر) ، (وليلة أول رجب) ، (ليلة نصفه) ، (وموسم ليلة رمضان) ، (وغرة رمضان) ، (وسماط رمضان) ، (وليلة الختم) ، (وموسم عيد الفطر) ، (وموسم عيد النحر) ، (وعيد الغدير) ، (وكسوة الشتاء) ، (وكسوة الصيف) ، (وموسم فتح الخليج) ، (ويوم النوروز) ، (ويوم الغطاس) ، (ويوم الميلاد) ، (وخميس العدس) ، (وأيام الركوبات) " (٢) .

(١) شذرات الذهب لابن العماد (١٣٨/٥ - ١٤٠) ، وهذه المبالغة في وصف الاحتفال بالمولد من طريق سبط ابن الجوزي ، وقد قدح الذهبي في صحتها ، انظر : سير أعلام النبلاء (٣٣٧/٢٢) .
(٢) الخطط والآثار ١/٤٩٠ وما بعدها .

وقال في حوادث سنة «٣٩٤هـ» : "وفي ربيع الأول ألزم الناس بوقود القناديل بالليل في سائر الشوارع والأزقة بمصر" (١) .

وقال في موضع آخر : " وجرى الرسم في عمل المولد الكريم النبوي في ربيع الأول على العادة" (٢) ، ووصف هيئة هذه الاحتفالات التي تقام للمولد النبوي خاصة وما يحدث فيها من الولائم ونحوها (٣) .

وقال: "وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعة : النبوي ، والعلوي والفاطمي ، والإمام الحاضر وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسي ذكرها فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الأمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها وإعادتها وإقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر.. " (٤) .

وهذا يدل على أن العبيدين هم أول من أحدث هذه البدعة ، ولم تعرف إلا من جهتهم .

فهذا شيء مما يتعلق بنشأة هذه البدعة ، وهذا من أوضح الأدلة على أنها إحداث في الدين ما لم يأذن الله تعالى به .

وبطلان هذه البدعة يظهر من عدة أوجه :

الوجه الأول : أن الاحتفال بالمولد لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا أمر به ، ولا فعله أصحابه ، ولا أحد من التابعين ولا تابعيهم ، ولا فعله أحد من أهل الإسلام خلال القرون المفضلة الأولى وإنما ظهر بعد ذلك على أيدي العبيدين الباطنية المشهورين بنخبهم وعداوتهم للإسلام والمسلمين .

(١) تعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (٤٨/٢) سنة (٣٩٤هـ) .

(٢) تعاض الحنفاء (٩٩/٣) سنة (٥١٧هـ) ، وانظر (١٠٥/٣) .

(٣) الخطط والآثار (٤٣٢/١) وما بعدها .

(٤) الخطط والآثار (٤٣٢/١) ، وانظر : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، الشيخ الأمين عوض الله

ص ٢٤ ، وكتاب ظهور خلافة !! الفاطميين وسقوطها ، د. عبد المنعم ماجد ص ٣٠٨-٣١٨ .

قال ابن كثير عن هؤلاء العبيديين :

«وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسراً ، فصاروا كأمس الذاهب كأن لم يغنوا فيها ، وكان أول من ملك منهم المهدي ، وكان من سلمية حداداً اسمه : عُبيد ، وكان يهودياً ، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن نفسه إنه المهدي — كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة — بعد الأربعمئة ... والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد ، ووازره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة وصوله ، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهديّة نسبة إليه ، وصار ملكاً مطاعاً يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض ... وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالاً ، وكانوا من أغنى الخلفاء^(١) ، وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة ، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات ، وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصرانية ، والدرزية ، والحشيشية ، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله ، حتى أخذوا القدس ، ونابلس ، وعجلون ، والغور ، وبلاد غزة ، وعسقلان ، وكرك الشوبك ، وطبرية ، وبانياس ، وصور ، وعكا ، وصيدا ، وبيروت ، وصفد ، وطرابلس ، وإنطاكية ، وجميع ما والى ذلك إلى بلاد إياس ، وسيس ، واستحوذوا على بلاد آمد ، والرها ، ورأس العين ، وبلاد شتى غير ذلك وقتلوا من المسلمين خلقاً وأماً لا يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان ما لا يحصى ولا يوصف ، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها ، وصارت دار إسلام وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحصى ولا يوصف ، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ، ولكن الله سلم ، وحين زالت أيامهم وانتفض إبراهيم ، أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته

« (٢) .

(١) كذا ولعل الصواب : من أعنى الخلفاء .

(٢) البداية والنهاية (٢٦٧/١٢) .

ولا شك أن من يقيم مثل هذه الاحتفالات فإن هؤلاء هم قدوته ، ولا شك أيضاً أن من يقيم هذه الاحتفالات المبتدعة ؛ فإنه يعتقد أن ذلك من صور محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراه ديناً وعملاً صالحاً وعبادة يتقرب بها إلى الله - وإن لم يصرح بذلك - وعليه فإن من أحدث عبادة في الدين لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه فإن عمله باطل ومردود عليه وقد قال الله تعالى : **بِأَنفُسِكُمْ أَنتُمْ عَلَىٰ شَرِّ أُمَّةٍ كَانَتْ** [المائدة: ٣] ، وقال تعالى : **بِأَنفُسِكُمْ أَنتُمْ عَلَىٰ شَرِّ أُمَّةٍ كَانَتْ** [الشورى: ٢١] .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(١) .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في الخطبة : « أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »^(٢) ، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

الوجه الثاني: أن الذي يمارس هذا الفعل واقع فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : " فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة " ^(٣) ، وجاء في حديث آخر: « وكل ضلالة في النار » ^(٤) .

الوجه الثالث: أن فاعل هذه البدعة عمله مردود عليه غير مقبول منه لقول النبي صلى الله

(١) البخاري (٢٤٩٩) ، مسلم (٣٢٤٢) .

(٢) مسلم (١٤٣٥) .

(٣) أبو داود (٤٦٠٧) ، الترمذي (٢٦٧٦) ، ابن ماجه (٤٢) ، أحمد (١٢٦/٤) من حديث العرياض بن

سارية رضي الله عنه ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح ، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (٦٤٧/٢)

(رقم ٩٣٧ .

(٤) النسائي (١٨٨/٣) من حديث جابر رضي الله عنه ، وأصله عند مسلم (١٤٣٥) .

عليه وسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ، ولا يكفي حسن النية بل لا بد من متابعة النبي صلى الله عليه وسلم. يدل لذلك فهم الصحابة رضي الله عنهم وإدراكهم لخطر الابتداع مهما حسنت نية المبتدع ، وقد أنكر ابن مسعود على من أحدث بدعة الذكر الجماعي في المسجد - وتقدم سياق هذا الأثر - مع أنهم قالوا له يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، فقال وكم من مريد للخير لم يبلغه .

الوجه الرابع: أن هذا المولد فيه مشاهمة واضحة لدين النصارى الذين يحتفلون بعيد ميلاد المسيح عليه السلام وقد فهمنا عن التشبه بهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم « ومن تشبهه بقوم فهو منهم »^(١).

الوجه الخامس: أن إقامة المولد للنبي صلى الله عليه وسلم نوع من أنواع الإطراء والغلو الذي حذر منه صلى الله عليه وسلم بقوله: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم »^(٢)، فقد فهمي عن تجاوز الحد في إطرائه ومدحه ، وذكر أن هذا مما وقع فيه النصارى وكان سبب انحرافهم ، وقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»^(٣).

الوجه السادس: أن الواقع من أصحاب الموالد أنهم قاسوا على مولد النبي صلى الله عليه وسلم موالد الأولياء فجعلوا لكل ولي مولداً وعيداً يحتفلون به ويفعلون فيه ما لا يحصى من المنكرات الشركية والبدعية وسائر أنواع المعاصي ؛ وهذا دليل على بطلان هذه البدعة ؛ فإن ما ينتج عنه باطل لا يكون إلا باطلاً^(٤).

(١) أبو داود (٤٠٣١) ، أحمد (٥٠/٢) ، قال ابن تيمية : إسناده جيد... واحتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث ، اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٤٠-٢٤١) .

(٢) البخاري (٣١٨٩) ، مسلم (٣٢٠١) من حديث عمر رضي الله عنه .

(٣) النسائي (٢٦٨/٥) ، ابن ماجه (٣٠٢٩) أحمد (١/٢١٥ ، ٣٤٧) قال ابن تيمية رحمه الله : (إسناده على شرط مسلم) ، اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٩٣) .

(٤) فالرفاعية تقيم مولداً لمؤسسها أحمد الرفاعي في اليوم الخامس عشر من جمادى الآخرة ، وأحمد البدوي يقيم له ثلاثة احتفالات الأول لمولده ، والثاني لوفاته ، والثالث في شهر رجب ، ومولد لإبراهيم الدسوقي في

ومما يحصل في بدعة الاحتفال بالمولد إنشاء المذائح النبوية والتي لا تخلو من الغلو والشرك الصريح والاستغاثة بغير الله ، وهذا أمر معروف ومشهور ، كما أنهم يدعون حضور النبي صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده ويقومون له ، بالإضافة إلى ألوان أخرى من المنكرات التي لا يشك مسلم في حرمتها وبطلانها وبعدها عن الإسلام ؛ مثل : الطرب ، والغناء ، واختلاط الرجال بالنساء ، ويصل الأمر في بعض البلدان التي يكثر فيها الجهل أن يشرب فيها الخمر وكذلك إظهار ألوان من الشعوذة والسحر^(١).

اليوم الثاني عشر من جمادى الآخرة ، وذلك المولد لمدة أسبوع ، وأما مولد السيدة زينب ففي السابع من شهر رجب إلى الرابع والعشرين من الشهر نفسه ، والمولد الحسيني عام لجميع الطرق الصوفية وموعده في اليوم الثاني والعشرين من ربيع الآخر ، وهلم جرأً من البدع والمحدثات ، انظر الفكر الصوفي المعاصر ص ٢٤٩ .

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٦١٩) ، ومجموع الفتاوى (٣١٢ / ١) (وانظر مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٣ / ٤٨ - ٩٥) ، ورسالة للشيخ عبد العزيز بن باز في حكم الاحتفال بالمولد النبوي ، ورسالة للشيخ حمود بن عبد الله التويجري بعنوان (الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي) ، وكتاب القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري .

المطلب السادس : التشديد على النفس والامتناع عن المباحات

وهذا صار من أبرز سمات التصوف ، وقد وقع في شيء من هذا بعض العباد من المتقدمين ، كخروج بعضهم واعتزاله عن المسلمين .

نشأة هذه البدعة :

هذا الأمر ينتج عن انحراف نزعات النفس البشرية ، وميلها للغلو ، وقد وجد شيء من هذا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كالثلاثة الذين تقالوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا الزيادة على المشروع ، وأنكر عليهم صلى الله عليه وسلم ذلك كما سيأتي ، ووجد أقوام في عهد التابعين حصل منهم مثل ذلك مثل ما فعل معضد بن يزيد العجلي وهو من العباد ، وكان خرج هو وعدة من أصحاب عبد الله بن مسعود إلى الجبانة يتعبدون فأتاهم عبد الله بن مسعود فنهاهم عن ذلك وأنكر عليهم (١) .

وظهر جماعة منهم اعتزلوا الناس ، وجماعة أخرى شددوا على أنفسهم في العبادة ، وجماعة عرف منهم الخوف الشديد والبكاء المستمر ، وغير ذلك كالتزام الجوع والعطش والسهر ، ومكابدة المشاق ، ولزوم الزوايا مدة طويلة ، والامتناع عن الزواج . وهكذا انتشرت في هذا العهد طبقة العباد ، ووجد عندهم من البعد عن السنة والتكلف والغلو ما أوقعهم فيما نهي عنه الإسلام ، وسيأتي ذكر بعض الأمثلة لذلك .

ثم توسع من بعدهم حتى بلغوا الغاية في مشاهة رهبان النصارى بل زادوا عليهم (٢) . حتى خرجوا به عن الحنيفية السمحة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن سعد بن أبي وقاص قال لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية أرغبت عن سنتي " قال : لا يا رسول الله ؛ قال : " إن من سنتي أن أصلي وأنام ، وأصوم وأطعم ،

(١) طبقات ابن سعد (٦/١٦٠) .

(٢) أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه دراسات في التصوف ص ٢٣ - ٦٣ ، أمثلة كثيرة عن هؤلاء في التشدد والتنطع والتكلف .

وأنكح وأطلق ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً ، ولعينك عليك حقاً" (١). قال سعد : فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو أقرّ عثمان على ما هو عليه ؛ أن نختصي فنتبتل .

وفي رواية أن عائشة رضي الله عنها ، قالت : دَخَلْتُ عَلِيَّ حَوِيلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمِيَّةِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ السَّلْمِيَّةِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ ، قَالَتْ : فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَاذَةِ هَيْئَتِهَا ، فَقَالَ لِي : " يَا عَائِشَةُ ؛ مَا أَبْذُ هَيْئَةَ حَوِيلَةَ " ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ امْرَأَةٌ لَا زَوْجَ لَهَا يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ ؛ فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا فَتَرَكْتُ نَفْسَهَا وَأَضَاعَتَهَا ، قَالَتْ : فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونَ ، فَجَاءَهُ ، فَقَالَ : " يَا عَثْمَانَ ؛ أَرِغْبَةً عَنِ سُنَّتِي " قَالَ : فَقَالَ : لَا ؛ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ وَلَكِنْ سُنَّتِكَ أَطْلُبُ ، قَالَ : " فَإِنِ أَنَامُ وَأَصْلِي ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَثْمَانَ ؛ فَإِنِ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنِ لَضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنِ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَصُمْ وَأَفْطِرُ ، وَصَلْ وَنَمْ " (٢) .

ومن ذلك قصة الثلاثة نفر من الصحابة أرادوا الانقطاع للعبادة وشددوا على أنفسهم وقد أخرج القصة البخاري ومسلم وغيرهما .

وهذا لفظ البخاري : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أبو داود (١٣٦٩)، أحمد (٢٦٨/٦)، الدارمي (٢٠٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وهذا لفظ الدارمي ، وأصل الحديث في الصحيحين مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٢) أحمد (٢٦٨/٦) .

إليهم ، فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأحشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " (١) .
وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص لما شدد على نفسه في العبادة

فروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو أنه تزوج امرأة من قريش ، فكان لا يأتيها ، كان يشغله الصوم والصلاة ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : " صم من كل شهر ثلاثة أيام " ، قال : إني أطيق أكثر من ذلك ، فما زال به حتى قال له : " صم يوماً ، وأفطر يوماً ، وقال له : " اقرأ القرآن في كل شهر " ، قال : إني أطيق أكثر من ذلك ، قال : " اقرأه في كل خمس عشرة " ، قال : إني أطيق أكثر من ذلك ، قال : " اقرأه في كل سبع " ، حتى قال : " اقرأ في كل ثلاث " ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن لكل عمل شرة ، ولكل شرة فترة ؛ فمن كانت شرته إلى سنتي فقد أفلح ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك " (٢) .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل اللحم ، ويجب الحلوى ، ويستعذب له الماء البارد (٣) .

لقد تطور الأمر عند الصوفية في هذه البدعة : حتى شددوا على أنفسهم بإيجاب الخروج عن أموالهم ، وإدامة الصيام والقيام ، وترك التزوج وإدامة الجوع ، حتى إن ابن عطاء الأدمي البغدادي فقد عقله بسبب ذلك ثمانية عشر عاماً !! (٤) .
وذكروا حكايات كثيرة فيها الحث على الامتناع عن الطعام والشراب مدة طويلة ! ، وبعضها مخالف للحس والعقل (٥) .

(١) البخاري (٤٦٧٥) و مسلم (٢٤٨٧) .

(٢) أحمد (١٨٨/٢) ، وأصله في البخاري (٥٠٥٢) ، مسلم (١١٥٩) .

(٣) زاد المعاد لابن القيم (١٤٢/١-١٥٠) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٤) .

(٥) انظر أمثلة على ذلك في كتاب دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص ٢٦-٦٣ .

ونفروا مما أباحه الله عز وجل كقول بعضهم : « مثقال ذرة من لحم تقسي القلب أربعين صباحاً » .

وامتنعوا من لبس المباح ، وفعل المباح ؛ يقول أحدهم : « من رفع بصره إلى شيء بغير نية الاعتبار كتبت عليه خطيئة !! »^(١) .

يقول الذهبي : « الطريقة المثلى هي الحمدية ، وهو الأخذ من الطيبات ، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف ، فلم يشرع لنا الرهبانية ، ولا الوصال ، ولا صوم الدهر والجوع أبو جاد الترهيب »^(٢) ، ومعنى أبي جاد الترهيب ، أي : المدخل إلى الترهيب المنهي عنه . ويقول ابن الجوزي : « وقد لبس عليهم في ترك المال كله ، وكانت مقاصدهم حسنة وأفعالهم خطيرة ، والعجيب من الحارث الحاسبي والغزالي ؛ كيف حثوا على ذلك ... وأما استشهاد الحارث بأن عبد الرحمن بن عوف يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال ، فهذا خطأ ، وجهل بالعلم ، وقصة حبس ابن عوف غير صحيحة ... »^(٣) .

ويكفي في هذا المقام قول الله تعالى :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (الأعراف: ٣٢) .

(١) انظر كتاب دراسات في التصوف ص ٦٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/١٩) .

(٣) تلبس إبليس ص ١٨٠ .

المطلب السابع : بدع شعائر التصوف (الخرقة - البيعة - العهد - التلقين - حلق الشعر أو قصه على يد الشيخ)

للصوفية شعائر ورسوم يتمسكون به وهي مرتبطة بالطرق الصوفية ، والطريقة لها أركان منها الشيخ أو المرشد ولا بد أن يرتبط المرید بشيخ ويسير على نهجه ويسلم له بالكلية ولا يعترض فمن اعترض طرد ! وعندهم من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ، ومن شروط الشيخ أن يكون له إسناد وإجازة حتى تتصل الطريق من شيخ عن شيخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم !! ولا بد من الخلوة حتى تصفو نفس المرید ؛ ومن المعروف عند أهل العلم أن المعتني بهذه الخلوات والرياضات المبتدعة يحصل له تزل شيطاني ، وخطاب شيطاني ، وبعضهم تطير به الشياطين من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد^(١).

أما نشأة هذه الطرق فسيأتي الحديث عنها في الفصل الرابع ، والمقصود هنا الكلام على البدع المصاحبة لهذه الطرق المبتدعة مثل بدعة ما يسمى بالتلقين ، والعهد ، وأخذ الخرقة ونحو ذلك .

أول من ابتدع الخرقة :

هذه البدعة حدثت عند بعض المشايخ المتصوفة المتأخرين من أهل خراسان والعراق ، كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مرديهم خرقة ولا يقصون شعورهم ولا التابعون ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين... وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ، ولا يسقي ملحاً ، ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة »^(٢) .

ومع ذلك فهم يدعون أن أصلها من الرسول صلى الله عليه وسلم !!

(١) انظر رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية .

(٢) منهاج السنة (٤٧/٨) ، وتعبير الشيخ ب(مرديهم) مراده أصحابهم من التابعين ، والتعبير بالصاحب عن المرید لا يعرف إلا عند الصوفية فالشيخ رحمه الله عبر باصطلاحهم لأن الخطاب معهم .

وهذا من الكذب والبهتان ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« وأما لباس الخرقة التي يلبسها بعض المشايخ المريدين : فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتمدة من جهة الكتاب والسنة ولا كان المشايخ المتقدمون ، وأكثر المتأخرين يلبسونها المريدين وأما جعل ذلك سنة وطريقاً إلى الله سبحانه وتعالى فليس الأمر كذلك»^(١) .

وأما موقف السلف من شيوخهم وعلمائهم ، فكما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

« لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون ، وتعلموا منهم ، وتأدبوا بهم ، واستفادوا منهم ، وتخرجوا على أيديهم ، وصحبوا من صحبوه منهم ، وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة ... وقد انتفع بكل منهم من نفعه الله ، وكلهم متفقون على دين واحد ، وطريق واحدة ، وسبيل واحدة ، يعبدون الله ، ويطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن بلغهم من الصادقين عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قبلوه ، ومن فهم من القرآن والسنة ما دل عليه القرآن والسنة استفادوه ، ومن دعاهم إلى الخير الذي يحبه الله ورسوله أجابوه ، ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه رباً يستغيث به كإله الذي يسأله ويرغب إليه ويعبده ويتوكل عليه ويستغيث به حياً وميتاً ، ولا كالنبي الذي تحب طاعته في كل ما أمر بالحلال ما حلله والحرام ما حرمه ؛ فإن هذا ونحوه دين النصارى ، الذين قال الله فيهم

«... وكانوا متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، متواصين بالحق متواصين بالصبر»^(٢) .

ومتزلة الشيخ والعالم والإمام عند السلف الصالح : «بمترلة الإمام في الصلاة ، وبمترلة دليل الحاج ؛ فالإمام يقتدي به المأمومون فيصلون بصلاته ، لا يصلي عنهم ، وهو يصلي بهم الصلاة التي أمر الله ورسوله بها ، فإن عدل عن ذلك سهواً أو عمداً لم يتبعوه ، ودليل الحاج يدل الوفد على طريق البيت ليسلكوه ، ويحجوه بأنفسهم ؛ فالدليل لا يحج عنهم ، وإن أخطأ

(١) مجموع الفتاوى (٥١١/١١) .

(٢) منهاج السنة النبوية (٤٧/٨ - ٤٨) .

الدلالة لم يتبعوه ، وإذا اختلف دليان وإمامان نظر أيهما كان الحق معه اتبع ، فالفاصل بينهم الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ وَمَا أَسْمِعُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْلِهِ الْكَافِرِينَ ﴾ [النساء: ٥٩] الآية (١) .

ولا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن . كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلقاه عنهم التابعون ؛ وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان ، فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه ، فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر ، ولا يتعين ذلك في شخص معين ، ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين ، كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها ؛ وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة ؛ فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرناً بعد قرن ؛ وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعتة ويعادي على ذلك ؛ بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخص أحداً بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه ، ويفضل من فضله الله ورسوله ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ وَمَا أَسْمِعُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْلِهِ الْكَافِرِينَ ﴾ [النساء: ٥٩] الآية . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا فضل لعربي على عجمي ؛ ولا لعجمي على عربي ؛ ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى " (٢) .

وقال ابن الجوزي : « وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ وجعلوا لها إسناداً متصلاً كله كذب ومحال... انظروا إخواني عصمنا الله وإياكم من تلبس إبليس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعة » (٣) .

(١) منهاج السنة النبوية (٤٩/٨) .

(٢) أحمد (٤١١/٥) من حديث أبي نضرة عن رجل سمع النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٣) تلبس إبليس ص ٢٣٦ .

ومن بدعهم أخذ العهد على المريـد والتلميـذ ، والمبايعة على الطريقة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« ونحو ذلك العهود التي تؤخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين ، كعهود أهل " الفتوة " ، و " رماة البندق " ، ونحو ذلك ، ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله إلا ما كان ديناً وطاعة لله ورسوله في شرع الله ؛ لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك ؛ ولهذا أمرت غير واحد أن يعدل عما أخذ عليه من العهد بالالتزام طريقة مرجوحة ، أو مشتملة على أنواع من البدع إلى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع الكتاب والسنة ؛ إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل : إنه قرينة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مستحب ؛ إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك يعلم بالأدلة المنصوبة على ذلك وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قرينة لم يجز أن يعتقد أو يقال إنه قرينة وطاعة . فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به إلى الله ولا التعبد به ولا اتخاذه ديناً ولا عمله من الحسنات فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ولا بإرادة وعمل .

وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرماً لا ينهى عنه ؛ بل يقال إنه جائز ولا يفرقون بين اتخاذه ديناً وطاعة وبراً ، وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة ، ومعلوم أن اتخاذه ديناً بالاعتقاد أو الاقتصاد أو بهما أو بالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم المحرمات وأكبر السيئات ، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم من المعاصي التي يعلم أنها معاصي وسيئات » (١) .

ومن شروط التوبة عندهم التوبة على يد الشيخ ، والمشيخة تعتبر ضرورة كونية (٢) !!
والعهد من الأمور التي يشددون فيها على المريـد ، ويوجبون عليه أن يلتزم بالآداب مع الشيخ ، وهذه الآداب منها : أن يكون مع شيخه كالنعال !! ويستسلم له تماماً ، ويكون بين

(١) مجموع الفتاوى (٤٤٥/١٠) .

(٢) التصوف والمجتمع لعبد اللطيف الشاذلي ص ١٣٥-١٤٦ .

يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل!! ونقل بعضهم عن أحد كبار الصوفية أنه قال : " لو أمرني الشيخ أن أسجد للآت لسجدت " (١) .

بل طلب الدليل من الشيخ على قول الشيخ من الكبائر !!
ويصرون على دوام تخيل الشيخ بين عيني المرید في كل الأوقات يقول محمد السمنودي " ... الرابع (أي من آداب الذكر) أن يستمد المرید عند شروعه فيه بھمة شيخه وأن يُخَيَّل شخصَ شيخه بين عينيه " (٢) .

يقول إسماعيل القادري أحد صوفية القادرية المعاصرين : " الرابطة هي أفضل من الذكر ، وهي حفظ تصوّر صورة الشيخ في الفكر ، وذلك للمرید أفيد وأنسب من الذكر ؛ لأن الشيخ واسطة في الوصول إلى الحق جل وعلا " (٣) .

ويقول أحد هؤلاء إذا وقعت في شدة فنادني باسمي ، ويقول أحدهم لمريديه : إذا سولت لك نفسك بالمعصية فتذكر شيخك يصرف الله عنك هذا السوء ! .
فهذا منكر عظيم وشرك بالله جل وعلا ، فيدعون إلى التعلق بشيوخهم وعبادتهم من دون الله ، لتفريج كرباتهم وقضاء حوائجهم .

فهذا هو ما يسمى عندهم بالرابطة ؛ فالرابطة هي الشرك بالله عز وجل ، والتعلق بغيره ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه ، وهذا الذي يسمونه الاستمداد من فيوضات الشيخ وفتوحاته وأن الشيخ الوسيط ... إلخ (٤) .

(١) تربيّتنا الروحية لسعيد حوى ص ٢٠٢ .

(٢) تحفة السالكين للسمنودي ص ٢٠ .

(٣) الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص ٢٦ .

(٤) انظر التصوف بين الإفراط والتفريط لعمر كامل ص ٢٢٤ ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه البدعة الشركية عندهم .

الفصل الثالث :
أول بدع التصوف
من بعض عبّاد الكوفة ، وبعض عبّاد البصرة

لا شك أن لكل البدع والمحدثات بدايات قد تكون في أول الأمر يسيرة ، ثم تتوسع وتنتشر .

والأمر بالنسبة لبدع التصوف كذلك ؛ فإن المتأمل في بدع التصوف يجدها ترجع إلى اجتهادات خاطئة من بعض العباد والزهاد ونحوهم ، وتقدمت الإشارة إلى هذا .

وكل بلد من هذه البلدان يظهر فيه عدد من العلماء والزهاد والعباد ، وربما تكون لهم خصائص تميزهم عن غيرهم ؛ غير أن مدن العراق هي التي تميزت عن غيرها بكثرة المخالفة للسنة — عند بعض أهلها — في أمور العبادة ، وتقدم قول ابن تيمية أنه بعد القرون الثلاثة حدثت ثلاثة أشياء : الرأي والكلام والتصوف ، وظهر أحمد بن علي الهجيمي البصري الزاهد الذي صحب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد بن زيد صحب الحسن البصري ومن اتبعه من المتصوفة وبنى دويرة للصوفية ؛ هي أول ما بني في الإسلام .

وكان عبد الرحمن بن مهدي وغيره يسمونهم (الفقرية) وكانوا يجتمعون في دويرة لهم، وصار لهؤلاء من التعبد المحدث طريق يتمسكون به مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع... وصار لهؤلاء حال من السماع والصوت حتى إن أحدهم يموت أو يغشى عليه .

وكان أهل المدينة أقرب في القول والعمل إذ لم ينحرفوا انحراف الطائفتين من الكوفيين والبصريين هوىً وروايةً ورأياً وكلاماً وسماعاً ، وإن كان في بعضهم نوع انحراف ، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين وأهل أعمال قلبية أقرب إلى الحال المشروع من صوفية البصريين إذ ذاك ، ولذا تجد كتب الكلام والتصوف إنما خرجت في الأصل من البصرة ، ككتب الحارث بن أسد المحاسبي ، وأبي الحسن بن سالم ، وأبي سعيد الأعرابي ، وأبي طالب المكي ، وقد شرك هؤلاء من البغداديين والخراسانيين والشاميين خلق ، لكن الغرض أن الأصول من ثم (١) .

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٠/١٠) باختصار وتصرف يسير .

إن الملاحظ في تراجم التابعين وأتباعهم أن بلدان المسلمين في ذلك الوقت متفاوتة ؛ فأقربهم للسنة المدينة ، ثم الشام ، واليمن ، ويليهم أهل العراق ، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ، ولهذا كان يقال : فقه كوفي وعبادة بصرية (١).

فعباد المدينة يقل فيهم السلوك المبتدع في العبادة ، بخلاف عبّاد العراق فقد كثر في بعضهم النسك المنحرف (النسك الأعجمي) المتأثر بالمجوس ، أو الفرس ، أو النصارى . والسبب في ذلك هو القرب من السنة والإيمان والبعد عنهما ، وعجز اللسان والتأثر بالمجاورين من أهل الأديان والملل الباطلة.

ثم المتقدمون الذين وضعوا طرق الرأي والكلام والتصوف وغير ذلك « كانوا يخلطون ذلك بأصول من الكتاب والسنة والآثار إذ العهد القريب ، وأنوار الآثار النبوية بعد فيها ظهور ، ولها برهان عظيم ، وإن كان عند بعض الناس قد اختلط نورها بظلمة غيرها ، فأما المتأخرون فكثير منهم جرد ما وضعه المتقدمون ، وكذلك من صنف في التصوف والزهد ، جعل الأصل ما روي عن متأخري الزهاد ، وأعرض عن طريق الصحابة والتابعين ، كما فعل صاحب الرسالة أبو القاسم القشيري ، وأبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي ، وابن خميس الموصللي في مناقب الأبرار ، وأبو عبد الرحمن السلمي في تاريخ الصوفية .

لكن أبو عبد الرحمن صنف أيضا من سير السلف من الأولياء والصالحين ، ومن سير الصالحين من السلف ، كما صنف في سير الصالحين من الخلف ونحوهم من ذكرهم لأخبار أهل الزهد والأحوال من بعد القرون الثلاثة من عند إبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، ومن بعدهم ، وإعراضهم عن حال الصحابة والتابعين الذين نطق الكتاب والسنة بمدحهم والثناء عليهم ، والرضوان عنهم .

وكان أحسن من هذا أن يفعلوا كما فعله أبو نعيم الأصبهاني في الحلية ؛ من ذكره المتقدمين والمتأخرين ، وكذلك أبو الفرج ابن الجوزي في صفة الصفوة ، وكذلك أبو القاسم

(١) مجموع الفتاوى (٦/١١) .

التميمي في سير الخلف ، وكذلك ابن أسد بن موسى ، إن لم يصعدوا إلى طريقة عبد الله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وهناد بن السري ، وغيرهم في كتبهم في الزهد » (١) .

وسأذكر في هذا أمثلة فيها بعض أنواع الغلط التي وقع فيها بعض المتقدمين من عباد العراق وغيرهم ، وذلك ليظهر الفرق بين طريقة الصحابة ومن تبعهم من أئمة التابعين وأتباعهم بإحسان وبين المخالفين لهم ممن وقع في شئ من الزيادة والتشدد ، فكان فتنة لمن جاء بعده واقتدى به وزاد الغلو عند الأتباع ، وأتباع الأتباع ؛ حتى صار الغلو المذموم ممدوحاً عند خلوف المتصوفة والله المستعان .

فهذه الأمثلة المقصود منها بيان بداية الانحراف والمخالفة للسنة والتي قد تكون عن خطأ واجتهاد مغفور لصاحبه ، لحناء السنة عليه أو لورود حال عجز عن دفعها لقصوره .

ولا يعني هذا النقص والغض من مكانتهم وإمامتهم وفضلهم ، يدل لذلك ما وقع لبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في هذا المقام ، كما تقدم ذكره من قصة الثلاثة نفر الذين تقالوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، والمرأة التي وضعت حبلاً لتتعلق به إذا فترت عن العبادة ، والرجل الذي نذر أن يقف في الشمس ويصوم ولا يتكلم ، وغيرهم .

وهذه الأحوال التي تصدر من اجتهاد من العبد هي من مواقع الغلط ، ويطلب فيها سلوك الصراط المستقيم من غير تفريط ولا إفراط ، ولهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأحوال والاجتهادات المخالفة لسنته في أمر العبادة ، ودعا هؤلاء إلى لزوم سنته التي هي الاقتصاد والتوسط والصراط المستقيم .

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي ، وصار الميزان الذي يعرف به الحق من الباطل والهدى من الضلال والصواب من الخطأ هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فالواجب إرجاع جميع أحوال الناس ومقالاتهم وعباداتهم وأخلاقهم إلى ذلك الميزان القسط .

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٨/١٠) .

والناس في هذا المقام العظيم طرفان ووسط ؛ فطرف ينظر إلى فضل هذا العالم والعابد وتقدمه وشهرته وما ثبت في نفسه من إمامته وعلو منزلته ، فيجعل ذلك العابد أو العالم أو الزاهد هو المعيار والميزان ، ولا يبالي إذا وقع في شيء من المخالفة ولا يعد ذلك خطأً لأنه فعله هذا الرجل المعظم في نفسه .

وطرف آخر يتناول على الأئمة ويتقصصهم ويحط من شأنهم ويجعل هذه الأحوال وسيلة للغضب والازدراء ، وهذا أيضاً خطأ كبير .

والواجب معرفة فضل أئمة الإسلام ومحبتهم ، والثناء عليهم ، ومع ذلك فالغلط جائز عليهم سواء الغلط في المسائل العلمية أو العملية ، ومن النصيح لهم بيان ما أخطؤوا فيه إذا لزم الأمر ، وترك متابعتهم فيما أخطؤوا فيه .

«فهذه الأحوال التي يقترن بها الغشي ، أو الموت ، أو الجنون ، أو السكر ، أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك ، إذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقاً عاجزاً عن دفعها كان محموداً على ما فعله من الخير وما ناله من الإيمان ، معذوراً فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانهم ، وقسوة قلوبهم ، ونحو ذلك من الأسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله ، أو فعل ما يكرهه الله ، ولكن من لم يزل عقله مع انه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو أفضل منهم، وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم ، وهو حال نبينا صلى الله عليه وسلم فإنه أسري به إلى السماء ، وأراه الله ما أراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله...»

والمقصود أن هذه الأمور التي فيها زيادة في العبادة والأحوال خرجت من البصرة ، وذلك لشدة الخوف فإن الذي يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء السليمي وأمثالهما ؛ أمر عظيم ، ولا ريب أن حالهم أكمل وأفضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم أو تفضل عليهم ، ومن خاف الله خوفاً مقتصدًا يدعوه إلى فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله من غير هذه الزيادة ، فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء ، وهو حال الصحابة رضي الله عنهم ...

وكذلك ما يذكر عن أمثال هؤلاء من الأحوال من الزهد ، والورع ، والعبادة ، وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ما سنه الرسول أمور توجب أن يصير الناس طرفين :

قوم يذمون هؤلاء وينتقصونهم وربما أسرفوا في ذلك .

وقوم يغفلون فيهم ويجعلون هذا الطريق من أكمل الطرق وأعلاها ...

وهذا باب يفترق فيه الناس والصواب للمسلم أن يعلم أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله ما كان عليه هو وأصحابه ، ويعلم من ذلك أن على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦] ، وقال : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»^(١) ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وإن كثيراً من المؤمنين المتقين أولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والإيمان ما حصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلا بد أن يصدر منه خطأ إما في علومه وأقواله وإما في أعماله وأحواله ويثابون على طاعتهم ويغفر لهم خطاياهم فإن الله تعالى قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦] قال الله تعالى : « قد فعلت »^(٢) .

(١) البخاري (٦٧٤٤) ، مسلم (٢٣٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مسلم (١٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنه .

فمن جعل طريق أحد من العلماء والفقهاء أو طريق أحد من العباد والنسك أفضل من طريق الصحابة فهو مخطئ ضال مبتدع ، ومن جعل كل مجتهد في طاعة أخطأ في بعض الأمور مذموماً معيباً ممقوتاً فهو مخطئ ضال مبتدع ...»^(١) .

وهذا شروع في بعض الأحوال العملية التي يظهر مخالفتها للسنة ، وهي بداية الانحراف في مفهوم العبادة تعلق به من أتى بعد هؤلاء ؛ ممن أضاف إلى تلك الأمور ما جعلها بدعاً صريحة ، فصارت تلك الأحوال سبباً لفتنة من جاء بعدهم .
فمن أولئك:

١ - أصحاب حلقة الذكر الذين أنكروا عليهم ابن مسعود رضي الله عنه ، وقد تقدم ذكر قصتهم^(٢) .

٢ - جماعة من المتعبدين خرجوا إلى ظاهر الكوفة ، وبنوا مسجداً يتعبدون فيه ، منهم عمرو بن عتبة ، ومفضل العجلي ، فخرج إليهم ابن مسعود رضي الله عنه ، وردهم إلى الكوفة ، وهدم مسجدهم ؛ وقال : إما أن تكونوا أهدى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أو تكونوا متمسكين بذنبٍ ضلالة^(٣) .

٣ - عامر بن عبد الله بن عبد قيس من عباد البصرة ، كان قد ترك النساء والمال بالكلية ، وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة ، وتغرب عن بلده ، وقد أنكروا عليه أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه فقال له : أما بعد فلإني عهدتك على أمر ، وبلغني أنك تغيرت فاتق الله وعد " ^(٤) .

(١) مجموع الفتاوى (١١١-١٢/١٦) .

(٢) انظر ص ٥٩ .

(٣) ذكرها ابن رجب الحنبلي في فتح الباري (١١٠/١-١١١) ، وقال : إسناد هذا صحيح عن الشعبي أنه حكى ذلك .

(٤) الحلية (١٧٧/٢) صفة الصفة (٢٠١/٣) سير أعلام النبلاء (١٥/٤) .

- ٤ - مسروق بن الأجدع الهمداني الإمام العلم من عبّاد الكوفة ، حج مرة فما بات إلا ساجداً^(١) .
- ٥ - عطاء السلمي العابد ، أضر بنفسه حتى ضعف جداً وعمشت عيناه ، وذلك لشدة خوفه وكثرة بكائه ، كان يبكي الليل والنهار !^(٢)
- ٦ - عتبة الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة ، كان كثير الخوف من الله ، شديد البكاء لا يكاد ينقطع بكاءه ، وكان يصوم الدهر ، ويأوي إلى السواحل والجبّانة (المقابر)^(٣) .
- ٧ - جوّاب بن عبيد الله التيمي الكوفي ، كان يرتعد عند الذكر ! فقال له إبراهيم التيمي : إن كنت لا تملكه فما أبالي ألا أعتد به ، وإن كنت تملكه فقد خالفت من هو خير منك^(٤) .
- ٨ - الأسود بن يزيد النخعي الإمام العلم من عبّاد الكوفة ، قال علقمة بن مرثد : كان مجتهداً في العبادة حتى يخضّر جسمه ويصفرّ ، وكان يصوم الدهر ، وذكر عنه أنه ربما أحرم بالحج من جبّانة عرّزم (محلة بالكوفة)^(٥) .
- ٩ - عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، كان من العبّاد ، وقال له أبوه لما يرى منه : قد رأيت أبا بكر وعمر لم يكونا هكذا ، ومرة سرقت له نعل فما انتعل حتى مات^(٦) .

(١) الحلية (٧٥/٢) تاريخ بغداد (٢٣٢/١٣) سير أعلام النبلاء (٦٣/٤) .

(٢) الحلية (٢١٥/٦) صفة الصفوة (٣٢٥/٣) سير أعلام النبلاء (٨٦/٦) .

(٣) الحلية (٢٢٦/٦) صفة الصفوة (٣٧٠/٣) سير أعلام النبلاء (٦٢/٧) .

(٤) الحلية (٢٣١/٤) ، تهذيب الكمال (٤٨٧/١) .

(٥) الحلية (١٠٣/٢) صفة الصفوة (٢٣/٣) سير أعلام النبلاء (٥٠/٤) .

(٦) الحلية (١٦٦/٣) صفة الصفوة (١٣٠/٢) سير أعلام النبلاء (٢١٩/٥) .

- ١٠ - الإمام الزاهد العابد أبو مسلم الخولاني : عبد الله بن ثوب اليماني ثم المدني ، علق سوطا في مسجده ويقول أنا أولى بالسوط من الدواب فإذا دخلته فترة مشق ساقه سوطا أو سوطين^(١) .
- ١١ - صفوان بن سليم الزهري ، أبو عبد الله ، مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف فقد حلف ألا يضع جنبه على الأرض حتى يموت^(٢) .
- ١٢ - عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية ، زار عبد الكريم أبا العالية فرأى أبو العالية عليه ثياب صوف فقال له : هذا زي الرهبان ، إن المسلمين إذا تزاوروا تحملوا^(٣) .
- ١٣ - غزوان بن غزوان الرقاشي ، حلف ألا يضحك فما رؤي ضاحكاً حتى مات ، رحمه الله تعالى^(٤) .
- ١٤ - خلود بن عبد الله العصري ، كان يصوم الدهر^(٥) .
- ١٥ - صلة بن أشيم أبو الصهباء العدوي البصري الزاهد العابد ، كان يخرج إلى الجبانة فيتعبد فيها^(٦) .
- ١٦ - العلاء بن زياد البصري القدوة العابد ، انقطع عن الناس ، وكان يصوم حتى يخضر ، ويصلي حتى يسقط ، وظل يبكي حتى عمي ، ونصحته أنس والحسن فأجابهم بما يخالف السنة^(٧) .

(١) الحلية (١٢٢/٢) صفة الصفة (٢٠٨/٤) البداية والنهاية (١٤٦/٨) سير أعلام النبلاء (٧/٤) .

(٢) الحلية (١٥٨/٣) صفة الصفة (١٥٣/٢) سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٥) .

(٣) الحلية (٢١٧/٢) تهذيب الكمال (٥٤٢/٤) سير أعلام النبلاء (٨٣/٦) .

(٤) صفة الصفة (٢٥١/٣) .

(٥) الحلية (٢٣٢/٢) .

(٦) الحلية (٢٣٧/٢) صفة الصفة (٢١٦/٣) سير أعلام النبلاء (٤٩٧/٣) .

(٧) الحلية (٢٤٢/٢) صفة الصفة (٢٥٣/٣) سير أعلام النبلاء (٢٠٢/٤) .

- ١٧- ثابت بن أسلم البناني أبو محمد من عباد البصرة وعلمائها ، وكان من أئمة العلم والعمل ، مما يؤخذ عليه في ترجمته أنه كان يصوم الدهر ^(١) .
- ١٨- مالك بن دينار من الزهاد المشهورين ، ومما يؤخذ عليه ما نقل عنه أنه كان ينظر في التوراة والزبور وكتب السابقين من النصارى ، وقوله : لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، ويأوي إلى منازل الكلاب ، وقوله : ينبغي للقارئ أن يكون عليه دارعة صوف وعصا راع ... ، وكذا طلبه من الراهب أن يفيدته ، وعزوفه عن الزواج ، وترك المباحات ، ولبسه الصوف الخشن ، وهكذا ما نقل عنه من مشي الكلب معه !! ^(٢)
- ١٩- سليمان بن طرخان التيمي البصري الإمام العلم القدوة ، مما يؤخذ عليه رحمه الله تعالى أنه كان يصلي الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، ولم يضع جنبه على الأرض عشرين سنة ^(٣) .
- ٢٠- فرقد بن يعقوب السبخي البصري العابد ، كان ينظر في التوراة ، وكان يقول الشيع أخو الكفر ، ولبسه جبة الصوف ، ونقل عنه النظر في التوراة ^(٤) .
- ٢١- يزيد بن أبان الرقاشي البصري العابد المشهور ، مما يؤخذ عليه رحمه الله تعالى ما نقل في ترجمته من إعطاشه وتجويعه لنفسه حتى ذبل جسمه وتغير لونه ونهك بدنه ، وإدامته للصيام اثنتين وأربعين سنة ^(٥) .

(١) الحلية (٣٢١/٢) صفة الصفوة (٢٦٠/٣) سير أعلام النبلاء (٢٢٠/٥).

(٢) الحلية (٣٨٤-٣٥٨/٢) صفة الصفوة (٢٩٦/٣) سير أعلام النبلاء (٣٦٢/٥).

(٣) الحلية (٢٧/٣) صفة الصفوة (٢٧١/٣) سير أعلام النبلاء (١٩٥/٦).

(٤) الحلية (٤٧/٣) صفة الصفوة (٢٧١/٣).

(٥) الحلية (٥٠/٣) صفة الصفوة (٢٨٩/٣).

- ٢٢- هارون بن رئاب الأسيدي البصري العابد ، كان يلبس الصوف^(١) .
- ٢٣- عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصري الإمام الحافظ ، كان يقوم الليل كله^(٢) .
- ٢٤- الحجاج بن فرافصة الباهلي البصري العابد ، مكث بضعة عشر يوماً لم يأكل ولم يشرب ولم ينم^(٣) .
- ٢٥- ورأى عبد الله بن غالب الحداني رجلاً في فلاة يأتيه رزقه ؛ لا يدري من أين يأتيه ! ؛ فقال له : إن هذه الأمة لم تؤمر بهذا ، إنما أمرت بالجمعة والجماعة وعبادة المرضى ، وتشجيع الجنائز ، فقبل منه وانتهى من ساعته إلى قرية فيها هذا كله^(٤) .

وبعد فهذه نماذج من اجتهاد هؤلاء العباد — رحمهم الله تعالى جميعاً وغفر لهم وجمعنا وإياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر — بلغ بهم اجتهادهم إلى مخالفة السنة والوقوع في التشدد والتكلف ؛ وقد أثرت على من بعدهم وتعلقوا بها وجعلوا أولئك قدوتهم في هذا الغلو مع مخالفتهم صريح السنة ، والله المستعان .

(١) الحلية (٥٥/٣) صفة الصفوة (٢٨٩/٣) سير أعلام النبلاء (٢٦٣/٥).

(٢) الحلية (١٢٠/٣) صفة الصفوة (٣٠١/٣) سير أعلام النبلاء (١٣/٦).

(٣) الحلية (١٠٨/٣) صفة الصفوة (٣٢٥/٣) تهذيب الكمال (٦٣/٢) سير أعلام النبلاء (٧٨/٧).

(٤) فتح الباري لابن رجب الحنبلي (١١٠/١-١١١) .

الفصل الرابع :

بذور التصوف الطريقي في القرن الثالث

المبحث الأول :بداية حدوث الطرق الصوفية

المبحث الثاني : أسماء بعض الطرق الصوفية

المبحث الثالث :أهم الطرق الصوفية المعاصرة

المبحث الأول: بداية حدوث الطرق الصوفية

المراد بالطرق جمع طريق ؛ وهو السبيل الذي يطرق بالأرجل ، ويقال الطريق والطريقة على سبيل الترادف ، والمراد بالطريقة عند الصوفية : هي مجموعة من الآداب والأخلاق والأعمال والعقائد يسير عليها أفراد من المتصوفة ويتمسكون بها تبعاً لشيخ يتولى توجيههم ، وتأديبهم والقيام عليهم ، فهذه هي الطريقة في اصطلاحهم (١).

إن طرق الصوفية نشأت في بادئ الأمر على غير منهاج واضح أو هيكل تنظيمي ؛ وإنما نشأت بسبب تنوع المشايخ ، فقد اتجه بعض الشيوخ اتجاهاً جديداً حيث بدأوا يجمعون حولهم المريدين من أجل تدريسهم ، فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية (٢).

ففي الحقيقة ليست هي طرقاً بمعنى ما تؤدي إليه هذه الكلمة ، لكن لما كانوا يعيدون عن العلم واختطوا لأنفسهم منهاجاً في العبادة والسلوك ، وظهر فيهم التميز عن جمهور المسلمين ، وظهرت لهم كلمات ومصطلحات مهدت لظهور الطرق المنظمة لمن جاء بعدهم ، مثل قولهم : علمنا ، مذهبنا ، طريقتنا (٣).

وظهر فيهم قلة العلم بالسنة، وكثرة الوعظ والقصص والتأثر بسلوكيات الرهبان والنسك الأعجمي ، فزاد بعدهم عن سمت الصحابة وهديبهم .

ومن صور التميز التي حصلت لهم : اتخاذ بيوت خاصة للعبادة غير المساجد ، ينقطعون فيها عن الناس .

وكذلك السماع المحدث الذي كان يسميه الشافعي التبغير ، ونسب إحداث ذلك للزنادقة ، وربما أضافوا إليه الضرب بالدف ونحوه .

(١) الفكر الصوفي المعاصر ص ٢١٢-٢١٤ .

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص ٥٣٩ ، ودراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص ١٥٩ ، ص ٢١٥ ، الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود القاسم ص ٣٠٩-٣١٥ وما بعدها ، ص ٦٠١ .

(٣) انظر ما تقدم ص ٢٤ — ٢٥ .

وكذلك دعوى الذوق والوجد ، وهذا كان سببا في إدخال الفلسفات الإشرافية الإلحادية في أتباعهم ومن جاء بعدهم .

وهكذا تميز هؤلاء بعدة أمور وصارت لهم مشيخة لهم رسوم وعادات وسمت خاص .
وهذا أول بذور التصوف الطريقي .

ومن أوائل ما أحدثه الصوفية في المرحلة الثانية أن لكل شيخ أتباعاً ومريدين ، ينتسبون إليه ، فصارت لهم ألقاب إضافية ، فقليل عن أتباع الجنيد : الجنيدية ، وأتباع المحاسبي : المحاسبية ، وهكذا.

ثم نظمت بعد ذلك ؛ يقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق :

" إن أول من وضع هيكل تنظيمي للطرق الصوفية هو فضل الله أبو سعيد محمد أحمد الميهني الصوفي الإيراني الفارسي (٣٥٧ هـ - ٤٣٠ أو ٤٤٠ هـ) " (١) ، وهذا المشار إليه هو تلميذ أبي عبد الرحمن السلمي وتلقى الخرقه من يده .

وبالنظر إلى ترجمة شيخه أبي عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين الأزدي السلمي

(٣٢٥ هـ - ٤١٢ هـ) :

فقد قيل فيه : إنه ورث التصوف من أبيه وجده ، وهو صاحب التصانيف المشهورة في علوم الصوفية ، وقيل فيه : إنه عمل دويرة للصوفية . وروى عن شيخه أبي سهل الصعلوكي مقولة : « مَنْ قَالَ لِشَيْخِهِ : لِمَ ؟ لَا يَفْلَحُ أَبَدًا » !!

وقال الذهبي في آخر ترجمته : " وبالجملة ففي تصانيفه أحاديث ، وحكايات

موضوعة ، وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية!! وعدّها منهم عرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ، ومن كلام بهوى ، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم " (٢) ، بل هذا الكتاب جمع فيه من التأويلات ما صار مفتاحاً لمن جاء بعده من الباطنية الصوفية .

(١) الفكر الصوفي ص ٥٣٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٥٢/١٧) ، وانظر تاريخ بغداد (٢٤٥/٢) .

إن أبا عبد الرحمن السلمي أضاف للعباد والزهاد قصصاً غير صحيحة ، وكتاب طبقات الصوفية مليء بالكذب ، واشتهر عند كثير من أهل العلم أنه كان يضع الحكايات الصوفية^(١) ، وربما أن ما وقع له من ذلك سببه الغلط ولا يظن به تعمد الكذب ، لكن لعدم الحفظ والإتقان دخل عليه الخطأ في الرواية^(٢) .

فهذا هو الشيخ ؛ وأما التلميذ فهو : أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير الميهني ولد سنة (٣٥٨هـ) في ميهنة سرخس من بلاد خراسان ، وتوفي سنة (٤٤٠هـ) .

وهو من أقدم المؤسسين للخانقاهات ، وأسلوب إدارتها ، وأنظمتها ، والقواعد التي وضعها في ذلك ؛ تعدُّ من أقدم النظم الخاصة بمجتمعات إخوان الطريقة ، وإخوان الصفا^(٣) . ومن نظام هذا الهيكل الذي وضعه هذا الميهني المشار إليه : أنه جعله متسلسلاً عن طريق الوراثة !! وفارسية هذا الرجل ، وكونه أول من أنشأ الطرق ، أمور تلقي بظلالها على مصادر هذا الأمر الدخيل على الإسلام .

هذا من جهة أول من أحدث التنظيم الهيكلي لهم .

وأما من جهة تنوع هذه الطرق وتنظيماتها ؛ فإن طرق التصوف انقسمت إلى تيارين : الأول : أقرب إلى الإسلام نسبياً ، وهم صوفية القرن الثالث والرابع ، ثم صوفية الغزالي ، ومن اتبعه من شيوخ الطرق الكبار ، ومن تأثر به كالرفاعي ، والجيلاني ، والشاذلي ، والمرسي ، والسكندري .

الثاني : اتجاه فلسفي الأبعد عن الإسلام ، وحاول أصحاب هذا الاتجاه تأسيس طرق على المنهج الفلسفي ، لكنها لم تبق ، ومن القرن الثامن وحتى العصر الحاضر والتصوف في

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢/١١) ، مجموعة فتاوى ابن تيمية (٣٣٣/١) ، منهاج السنة

(١١/٨) ، وسير أعلام النبلاء (٢٥٤/١٧) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢/١١) .

(٣) تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٦٦٩-٦٧٠ .

انحطاط ، والله الحمد ، وأتباعه لم ينتجوا جديداً وإنما يلخصون كتب من قبلهم ويشرحونها واعتنوا بكثير من الطقوس الغريبة ، والشكليات التي أبعدهم عن الإسلام^(١) .

لكن الطرق المشار إليها في الاتجاه الأول قد تبلورت وتطورت ، وصار لكل شيخ طريقة منظمة ، ودرساتير محترمة ، وأنظمة لا يجوز مخالفتها ، وإلا طرد ولم يحصل على الولاية ولم يتيسر له طريق الله !!.

وهذه القواعد التي وضعوها مهدت لإماتة أجيال من شباب هذه الأمة وصالحيتها ، وأفقدتهم عقولهم ، وسلبت عنهم تفكيرهم ، فصاروا آلات جوفاء تردد ما يقال لها ، وتبعت هذه الجماهير المضللة شيوخ الضلالة : «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» [الكهف : ١٠٣-١٠٤] .

يقول الشيخ محمود قاسم في كتابه: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، عن طرق الصوفية :

« لا يوجد في الصوفية إلا طريقتان:

- ١- طريقة الإشراق : هي الطريقة الوحيدة الأزلية التي استعملها المتصوفة في كل الأمم .
- ٢- طريقة البرهان أو الطريقة الغزالية أو التصوف السني^(٢) .

الأولى أسلوبها أن يميت السالك إحساساته وأعصابه بإرهاقها جداً ؛ حتى يصل إلى ما يشبه العته بالجوع ، والصمت ، والسهر ، وتعذيب النفس ، ونحو ذلك .

أما طريقة البرهان فهي طريقة الإشراق نفسها مزجوها بالإسلام ، وفلسفها الغزالي بذكاء ودهاء ، «خلاصة القول : لا يوجد في التصوف إلا طريقة واحدة هي طريقة الإشراق ، سواء عند متصوفة المسلمين أو عند غيرهم ، ولكن متصوفة المسلمين مزجوا الطريقة الإشراقية

(١) الفكر الصوفي المعاصر ص ٢٩-٣٠ .

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣٠٩ .

بالإسلام ، وسموا ذلك "التصوف السني" ، أو "الطريقة البرهانية" ، أو الغزالية ، وبذلك استطاعوا أن يخدموا المسلمين ويجروهم إلى التصوف»^(١) .

والحق أن الطرق الصوفية مع تنوعها وكثرتها متفقة في أنواع من الباطل والابتداع والغلو ، فالرياضة المبتدعة ، ودعوى الكشف والتفريق بين الحقيقة والشريعة ، والغلو في الشيخ وتقديسه ، والتلقي عنه وعن المنامات والرؤى والحكايات وجعلها هي الأصل ، كل ذلك جامع مشترك لجميع هذه الطرق ، فتعدد الطرق بسبب تنوع المشايخ وإلا ليست طرقاً في الحقيقة ؛ إنما هي مشيخات ، فالفروق بينها شكلية ، إنما هي فروق بكلمات الأذكار ، والأحزاب ، والأوراد ؛ لا بمعانيها .

وفروق بأشكال الحضرة ومواعيد المولد وطريقة الغلو وتنوع القصص والخرافات ، وفروق في أسماء الشيوخ ونحو ذلك . فمن عن له أن يبتدع طريقة فعل وسمها باسمه واسم قبيلته ونحو ذلك ؛ فيعسر حصر هذه الطرق .

ويكفي أنه في بلد واحد وفي فترة زمنية قصيرة هي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري بلغ عدد الطرق الصوفية في بلد واحد أكثر من مائة طريقة^(٢) .

ومن عادة هؤلاء الطرقيين افتراء الكذب ، وادعاء الانتساب إلى آل البيت ، أو لولي من الأولياء .

وعادة ما يجعلون لهم صناديق تقبل النذر المصروف للأولياء، وربما توسعت الطريقة وعظم شأنها فصار لها نفوذ وقوة ودعاية إعلانية من مجالات وربما مدارس ونفوذ سلطاني .

ثم إن كل أتباع طريقة يحذرون من الطرق الأخرى المنافسة لهم ، ويدعون إلى اتباع طريقتهم ، ويتقاتلون ويتنازرون بالألقاب ، فالرفاعي المنتسب إلى الرفاعية يحذر من الطريقة التيجانية ومن غيرها ، ويدعو إلى اتباع طريقتهم ويمدحها ويبالغ في ذلك ، ويرون أن طريقتهم

(١)الكشف عن حقيقة الصوفية ص ٣١٥ .

(٢)الفكر الصوفي المعاصر ص ٢٢١-٢٢٢، وانظر ص ٢٣٧-٢٣٩، الكشف عن حقيقة الصوفية ص

ناسخة لجميع الطرق كما أن الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع ، وهكذا غيره من الطريقتين .

ومن مقولاتهم: « لا وصول إلى الحقيقة إلا بعد سلوك الطريقة » ، «ومن لم يكن له شيخ فشيوخه شيطانه» ، «وكن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل » ، «ومن قال لشيخه لم؟ لا يفلح أبداً !!»

وهذه الطرق الصوفية القديمة خرجت بعدها طرق أخرى ثم طرق وهكذا ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخُفَىٰ عَلَى الْكَافِرِينَ إِذْ يَخْلِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".

المبحث الثاني : أسماء بعض الطرق الصوفية: من أوائل الطرق التي اندثرت وهي

أصول الطرق التي حدثت فيما بعد :

١- المحاسبية :

نسبة إلى أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، بصري سكن بغداد وتوفي سنة ٢٤٣هـ ، "وقد سئل أبو زرعة الرازي عن المحاسبي وكتبه ، فقال : إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر تجد غنية ، هل بلغكم أن مالكا والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس ، ما أسرع الناس إلى البدع" (١).

وطريقة أتباعه موافقة لمعظم ما عليه صوفية خراسان ذلك الوقت إلا أن لها بعض الاختلاف اليسير بينهم (٢).

٢- الطيفورية أو البسطامية ، نسبة إلى طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي وهو مشهور بكنيته (ت ٢٣٤هـ أو ٢٦١هـ) كان جده مجوسياً فأسلم ، وطريقته كما يصفها الصوفية : الغلبة والسكر ، ونقلت عنه أقوال خطيرة مثل : "ما في الجبة إلا الله " ، " سبحاني ما أعظم شأنني " ، " ما المحدثون ، إن خاطبهم رجل عن رجل ، فقد خاطبنا القلب عن الرب " . وكان أتباعه يتجنبون مخالطة الناس ، ويفضلون الخلوة والعزلة ، وشطحات أتباعه كثيرة جداً تبعاً لشطحات شيخهم (٣).

(١) انظر : ترجمة المحاسبي في : طبقات الصوفية، للسلمي، ص ٥٨ ، الحلية (٧٣/١٠) ، تاريخ بغداد (٢١١/٨) ، وفيات الأعيان (٥٧/٢) ، البداية والنهاية (٣٤٥/١٠) ، سير أعلام النبلاء (١١٠/١٢) وانظر: تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٦٢٢.

(٢) انظر :سؤالات البرذعي ص ٥٦١، ميزان الاعتدال للذهبي ١٦٥/٢ ، سير أعلام النبلاء ١١٢/١٢ ، تهذيب التهذيب ١١٧/٢ .

(٣) طبقات الصوفية ص ٦٧ ، الحلية (٣٣/١٠) ، وفيات الأعيان (٥٣١/٢) ، البداية والنهاية (٣٥/١١) ، سير أعلام النبلاء (٨٦/١٣) . وانظر: تاريخ التصوف لقاسم غني ص ٦٣٠ ، وشطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوي.

٣- السقطية: نسبة إلى أبي الحسن السري بن المغلس السقطي خال الجنيد ، ت: ٢٥٣هـ^(١).

٤- القصارية : أتباع أبي صالح حمدون بن عمارة القصار (ت ٢٧١هـ) ، ومن طريقتهم: إظهار الملامة ، ونشرها ، والتعرض للبلايا وتأديب النفس بالتحقير والإهانة ، واشتهر بعد ذلك طائفة يقال لهم الملامتية ، وزاد فيها ابتداعاً أيضاً تلميذه أبو محمد عبد الله بن منازل، ت: ٣٢٩، أو ٣٣٠هـ. وظهر الغلاة منهم في تركيا حديثاً^(٢).

ومن فرقها : القلندرية وهم الذين تركوا العادات والآداب وراءهم ظهيرياً وأهملوا التقيد بآداب المجالس والمعاملات — ومن الأمور التي عرفوا بها : حلق شعر الرأس واللحية والشارب والحاجب !! وكانوا يلبسون زي العجم والمجوس^(٣).

٥- الجنيدية: أتباع أبي القاسم الجنيد بن محمد ، ت: ٢٩٧هـ ، قالوا في وصف طريقتهم إنها توفق بين الشريعة والحقيقية!! وتجمع بين الظاهر والباطن!! وإنها أكثر ملاءمة للمبتدئين وغير الناضجين^(٤).

٦- النورية: أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد الخراساني البغوي النوري ت: ٢٩٥هـ وهو من أصحاب الجنيد ، وله عبارات دقيقة يتعلق بها من انحرف من الصوفية ، وأخذ ليقتل على الزندقة !! ثم عفي عنه وأطلق. وأتباعه أخذوا من عباراته ما قادهم إلى القول بالفناء

(١) انظر : طبقات الصوفية للسلمي ص ٤٨ ، الحلية (١١٦/١٠) ، تاريخ بغداد (١٨٧/٩) ، البداية والنهاية (١٣/١١) ، سير أعلام النبلاء (١٨٥/١٢) .

(٢) تاريخ التصوف ص ٦٣٣ .

(٣) ترجمة القصار في : طبقات الصوفية للسلمي ص ١٢٣ ، الحلية (٢٣١/١٠) ، سير أعلام النبلاء (٥٠/١٣) . وانظر: تاريخ التصوف في الإسلام لقاسم غني ص ٦٢٤-٦٢٥ .

(٤) تاريخ التصوف ص ٦٣٣ . وانظر طبقات الصوفية ص ١٥٥ ، الحلية (٢٥٥/١٠) تاريخ بغداد (٢٤١/٧) ، وفيات الأعيان (٣٧٣/١) ، البداية والنهاية (١١٣/١١) ، السير (٦٦/١٤) .

والحلول . وهؤلاء يذمون العزلة ويحثون على المعاشرة والمصاحبة ، ويحثون على الإيثار ولهم في ذلك تفسيرات وتأويلات وحكايات^(١) .

٧- السهلية أو التسترية: أتباع سهل بن عبد الله التستري ت: ٢٧٣ أو ٢٨٣هـ . وكانوا يعظمون رياضة النفس والمجاهدة ويجعلونها سبيلاً للوصول إلى الغاية وهذا مما تتفق عليه غالب الطرق لكن هؤلاء يولون هذا الجانب اهتماماً أكبر ويقدمونه على واجبات السالك الأخرى^(٢) .

٨- الخرازية: أتباع أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراز أحد المشاهير الصوفية في القرن الثالث (ت ٢٧٩هـ وقيل غير ذلك) وأساس طريقته مبني على موضوع البقاء والفناء!! قال الذهبي: يقال إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء ، فأبي سكتة فاتته ، قصد خيراً ، فولد أمراً كبيراً تشبث به كل اتحادي ضال به ، ونقل عن السلمي إنكار أهل مصر عليه ، وتكفيرهم له بألفاظ حفظت عنه^(٣) .

٩- الحكيمية: أتباع أبي عبد الله الحكيم محمد بن علي الترمذي ، ت: ٢٩٦ أو ٣٢٠هـ . أحد كبار الصوفية في القرن الثالث ، وله تقعيدات وتأصيلات خطيرة في الولاية وتكلم الناس فيه لأجل موقفه من الولاية وتقديمه لها على النبوة^(٤) . وزاد أتباعه بعد ذلك على خطئه ما صار كفرة^(٥) ، قال الذهبي لما بين سبب هجر العلماء للحكيم الترمذي: « كذا

(١) طبقات الصوفية ص ١٦٤ ، الحلية (٢٤٩/١٠) ، تاريخ بغداد (١٣٠/٥) ، البداية والنهاية (١٠٦/١١) ، السير (٧٠/١٤) ، تاريخ التصوف ص ٦٣٤ .

(٢) انظر: طبقات الصوفية ص ٢٠٦ ، الحلية (١٨٩/١٠) ، وفيات الأعيان (٤٢٩/٢) ، شذرات الذهب (١٨٢/٢) ، السير (٣٣٠/١٣) ، تاريخ التصوف ص ٦٣٦ .

(٣) انظر: طبقات الصوفية ص ٢٧٩ ، حلية الأولياء (٢٤٦/١٠) ، تاريخ بغداد (٢٧٦/٤) ، البداية والنهاية (٥٨/١١) ، شذرات الذهب (١٩٢/٢) ، تاريخ التصوف ص ٦٤٠ .

(٤) انظر: طبقات الصوفية ص ٢١٧ ، الحلية (٢٣٣/١٠) ، السير (٤٣٩/١٣) ، وخبر اتمامه بالكفر والزندقة في السير (٤٤١/١٣-٤٤٢) ، تاريخ التصوف ص ٦٣٨ .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٦٣/١١) ، (٣٧٣) .

تُكَلِّم في السلمي من أجل تأليفه كتاب حقائق التفسير ، فيا ليته لم يؤلفه ، نعوذ بالله من الإشارات الحلاجية ، والشطحات البسطامية ، وتصوف الاتحادية ، فواحناه على غربة الإسلام والسنة...»^(١) .

١٠ - الحلاجية: نسبة إلى أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج ، قتل: ٣٠٩ هـ — ، وكان جده مجوسياً ، وظهر للناس سوء سيرته ، ومروقه ، قال الذهبي : «منهم من نسبته إلى الحلول ، ومنهم من نسبته إلى الزندقة ، وإلى الشعبذة والزوكرة ، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال ، وانتحلوه وروجوا به على الجهال» .
والصوفية كلهم يزكونه؟! ويمدحونه كالغزالي والقشيري وابن عربي والصوفية المعاصرون^(٢) .

١١ - السيارية: أتباع أبي العباس القاسم بن القاسم السيارى المروزي (ت ٣٤٢ هـ) . ومذهبهم مبني على الجمع والتفرقة وهما من الألفاظ الجملة التي يراد بها حق وباطل ، ولا يفهم سامعها مرادهم بها ؛ ويدخلون أمورهم الباطلة في مثل هذه المصطلحات ؛ فالجمع مشاهدة الأشياء بواسطة الله وبوسيلته !! وجمع الجمع هو الفناء عما سوى الله، وهو مقام الاتحاد والاتصال !!^(٣) .

١٢ - الحلمانية: أتباع أبي حلمان الفارسي الحلبي في القرن الرابع وكانت تصرح بالقول بالحلول ووحدة الوجود ، وهي من الطوائف الباطنية^(٤) .

١٣ - القشيرية: أتباع أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، ت: ٤٦٥ هـ^(١) .

(١) السير (٤٤٣/١٣) .

(٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧٩ ، تاريخ التصوف ص ٦٣٣ .

(٣) انظر: طبقات الصوفية، ص ٤٤٠ ، الحلية (٣٨٠/١٠) ، السير (٥٠٠/١٥) ، شذرات الذهب

(٢/٣٦٤) ، تاريخ التصوف ص ٦٤٣ .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧٥ .

فهذه الطرق في القرن الثالث والرابع والخامس مقدمات للطرق التي جاءت بعدُ كالرفاعية: نسبة إلى أحمد الرفاعي، من بني رفاعة قبيلة من العرب ، ت: ٥٧٨هـ. وهي ثلاثة فروع: البازية ، الملكية ، الحبيبية ، وطريقته منتشرة في بعض البلاد كالطريقة الحريرية في سوريا ، وبعض هؤلاء يظهرن الشعوذة ويدعون أنها كرامات ؛ كالطعن بالسكاكين ، وأكل النار ، وازدراء الأفاعي وتحمل لدغها .

والبكتاشية : أسسها الحاج بكتاش ولي ، ت : ٧٣٨ هـ ، وهي من الطرق التي اختلط فيها التصوف بالتشيع ، ولها انتشار واسع في تركيا ومصر والمغرب .
والنقشبندية : نسبة إلى بهاء الدين محمد بن محمد البخاري الملقب بشاه نقشبند ، ت : ٧٩١ هـ ، ولها انتشار في تركستان ، والصين ، والهند ، وماليزيا ، و تركيا .
والأحمدية: نسبة إلى أحمد البدوي ، ولد بفاس ورحل إلى العراق ، ثم مصر ، ومات في طنطا، ت: ٦٢٤هـ.

وانقسمت هذه الطريقة إلى ستة عشر فرقة تبعا لأبرز شيوخها:
المزارقة ، الكناسية ، الأبنائية ، المنايفة ، الحمودية ، العدمية ، الحليية ، الزاهدية ، التشيعيية ، البيومية ، التسقانية ، الثناوية ، العربية ، السطوحية ، البندارية ، المسلمية .
والسبعينية : نسبة إلى عبد الحق ابن سبعين ت ٦٦٩ هـ الاتحادي الضال ، من أشهر القائلين بوحدة الوجود ، والدسوقية: نسبة إلى إبراهيم الدسوقي ، والمولوية: جلال الدين الرومي، والأكبرية: نسبة إلى ابن عربي، ولها فرعان: الشهاوية، الشرائية ، والبكدائية : وهي التي تنتمي إليها الأتراك العثمانيون ، وهي في ألبانيا إلى الآن ، وهي أقرب إلى التصوف الشيعي ، والميرغنية : نسبة إلى محمد الميرغني والخلوتية نسبة إلى محمد الخلوتي ، والصديقية نسبة إلى أبي بكر بن هواري ، والكيروية نسبة إلى نجم الدين الكيري ، والجهرية نسبة إلى الخواجة أحمد السيوري ؛ سميت بذلك لكونها تقوم على الجهر بالذكر ، والبرهانية نسبة إلى برهان وهي أيضاً

(١) الصلة بين التصوف والتشيع لكامل مصطفى الشبي ص ٤٤٠-٤٤٦ ، وبغية المستفيد بشرح منية

تقوم على الجهر بالذكر وليس الزي الأخضر ، والعيدروسية نسبة إلى عبد الله بن عيدروس ،
والحاتمية نسبة إلى ابن عربي الحاتمي الاتحادي .
ويظهر تطور للطرق بعد حدوث الدولة العثمانية وتوطيد أركانها ، فنشطت الطرق
وزاد عددها ، لتشجيع سلاطين الأتراك على هذه الطرق ومحبتهم لها .
وتوالى ظهور طرق صوفية جديدة في هذا العصر في مصر وفي غيرها من البلاد
الإسلامية ، واللائحة الرسمية لطرق الصوفية بمصر الصادرة عام ١٣٢٣هـ تجوز زيادة طرق
جديدة متى كانت لا تشابه طريقة من الطرق الموجودة في اسمها أو اصطلاحها ، وبلغ عدد
الطرق عام ١٣٢٣هـ بمصر ٣٢ طريقة ، وفي عام ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م ٦٧ طريقة ، وحتى
عام ١٤١٠هـ بلغ عددها ٧٢ طريقة ، هذا غير الطرق التي لم يعترف بها رسمياً ، وهي كثيرة
جداً (١) .

(١) انظر كتاب الفكر الصوفي المعاصر للقشعمي ص ٢٢١ ، ٢٣٧ ، ٣٧٤-٣٧٥ .

المبحث الثالث: أهم الطرق الصوفية المعاصرة

ترجع معظم الطرق الموجودة اليوم إلى طرق أصول ؛ هذه الطرق تفرعت عنها ، وهذا سببه الشكل التنظيمي والاختلاف في سلسلة السند والشيخ الذي أخذت عنه الطريقة ، ويختلف الباحثون في أصول الطرق الصوفية المعاصرة على عدة أقوال ، وذلك بسبب التشابه بينها والتداخل في التلقي والسلوك والصفات ونحو ذلك ، وهذا البحث لا أثر له في الواقع ، ولكن أشير إلى أمات الطرق الصوفية المعاصرة إشارة موجزة :

الجيلانية :

نسبة إلى عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) دفن ببغداد وتنسب إليه كثير من الكرامات ويحج إلى قبره جموع من أتباعه ، ويدعي أتباعه أنه هذه الطريقة ساهمت في نشر الإسلام في أفريقيا.

الشاذلية :

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي (ت ٦٥٦هـ) وطريقته منتشرة في مصر ، واليمن ، وسوريا ، والمغرب العربي ، ولأتباعه حماس قوي في نشر دعوتهم ، وادعاء صحة طريقتهم وأنها سلفية !!

التيجانية :

نسبة إلى أحمد التيجاني (ت ١٢٣٠هـ) وهي طريقة منتشرة بقوة في أفريقيا ؛ في المغرب ، وموريتانيا ، وتشاد ، والسودان ، وفي كتاب الدكتور/ تقي الدين الهلالي (الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية) عجائب وغرائب عن هذه الطريقة المنحرفة ، وهو رحمه الله كان منهم ثم تاب .

البريلوية :

أسسها أحمد رضا خان بن تقي علي خان، وسمي نفسه عبد المصطفى (ت ١٣٤٠هـ) وتنسب إلى بلد ولادة المؤسس هي بريلي ، ولديهم عقائد كفرية منها الغلو في الأنبياء وفي النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، ويكفرون عموم المسلمين الذين يخالفونهم في آرائهم .

الـخاتـمة

الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ، وبعث إلينا أفضل رسله محمد الذي أشرق برسائله الأرض بعد ظلماتها ، وتألقت بدعوته القلوب بعد شتاتها ، وعز جند الرحمن وذل حزب الشيطان وظهر نور الفرقان وقامت حجة الله على الإنس والجان وقد ترك أمته على محجة بيضاء نقية وطريقة واضحة سوية لا يزيغ عنها إلا هالك فصلوات الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ...

فهذه الورقات جمعت مسائل مهمة تتعلق بالصوفية وأول انحرافاتهما وبدعها ، وما وصل إليه المتأخرون والغلاة في آخر الأمر... وبه يتبين أهمية التمسك بالسنة والدعوة إليها خصوصا في هذه الأزمان المتأخرة أزمان الغربة وقلة العلم ؛ فإن إبطال البدع وردّها من أوجب الواجبات على أهل الإسلام ، وإحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنها من أعظم أنواع الجهاد ؛ فإن فيه حفظاً لأصول الإسلام ، ولم يزل دأب أئمة السلف في الرد على أهل البدع والأهواء والتصدي للمخالفين عبر تلك القرون الطويلة ، خاصة بعد حدوث النحل الخبيثة ، القرامطة والباطنية والفلاسفة الملاحدة ، وهذه الفرق هي أشد نكبة نكب بها أهل الإسلام .

فنسأل الله أن يعز الإسلام وأهله ، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وأن يمنحهم الفقه في دينه ولزوم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والذب عنها وجهاد من عارضها برأي أو هوى . إنه سميع مجيب الدعاء ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

قائمة المصادر والمراجع

١. إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ، حققه وخرج أحاديثه : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سوريا ط. ٢٠٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط. ٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
٣. الباعث على إنكار البدع والحوادث للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المعروف بأبي شامة الشافعي ، دراسة وتحقيق ، عادل عبد المنعم أبو العباس ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٤. البدع والنهي عنها لابن وضاح ، عني بطبعه وتصحيحه محمد أحمد دهمان ، دار الأصفهاني بجدة. وطبعة أخرى ت/ عمرو عبد المنعم سليم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ط. الأولى ١٤١٦هـ
٥. تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق ، للمحامي عباس العزاوي ، مخطوط ، محفوظ بجامعة الإمام برقم (٧٠٨٧) .
٦. تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الفكر ، بدون تاريخ .
٧. تيرئة الذمة في نصح الأمة ، لجامعه محمد عثمان عبده البرهاني ، مطبوعات الطريقة البرهانية الدسوقية الشاذلية ، بدون تاريخ .
٨. التجانية : دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة ، د. علي بن محمد آل دخيل الله ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ط. ٢ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٩. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، د. زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

١٠. التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان ، بدون تاريخ .
١١. التصوف بين الإفراط والتفريط ، الدكتور عمر عبد الله كامل ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ، ط. ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٢. التصوف هل له أصل في الكتاب والسنة ، أبو عبد الرزاق د/ محمود بن عبد الرزاق دار ماجد عسيري ، جدة ، بدون تاريخ .
١٣. التصوف والاتجاه الفلسفي في العصر الحديث ، د.مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .
١٤. التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، ط. ١ ، ١٩٨٠م .
١٥. التصوف والمجتمع ، نماذج من القرن العاشر الهجري ، عبد اللطيف الشاذلي ، منشورات جامعة الحسن الثاني ، مطابع سلا .
١٦. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي الشافعي ، ت/ يمان بن سعد السدين المياديني، رمادي للنشر، والمؤتمن للتوزيع، ط الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري، مطبعة الباي الحلبي، ط الثالثة.
١٨. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٩. جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني ، لعلي حراز بن العربي براده المغربي الفاسي ، وبهامشه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم لعمر بن سعيد الفوقي الكروي ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، ط. الثانية ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
٢٠. الحاوي في فتاوى عبد الله بن الصديق الغماري ، دار الثقافة العربية ط. ١ ، ١٤٠٢هـ .
٢١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ .

٢٢. الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي ، حققه عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ط. ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٢٣. الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، الشيخ الأمين عوض الله ، دار المجمع العلمي بجددة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٢٤. دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، باكستان بدون تاريخ .
٢٥. ذم الكلام، لأبي إسماعيل الهروي، ت/ عبد الله الأنصاري، دار الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط. الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٦. الرد على الأحنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية لابن تيمية، تصحيح وتعليق عبدالرحمن المعلمي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عام ١٤٠٤هـ.
٢٧. رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد المليي ، مكتبة الإيمان ، الإسكندرية ، ط. ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٢٨. الرسالة القشيرية في علم التصوف ، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، تحقيق : معروف مصطفى زريق ، علي عبد الحميد أبو الخير ، دار الخير ، بيروت لبنان ، ط. ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٢٩. الزهاد الأوائل ، دراسة في الحياة الروحية الخالصة في القرون الأولى ، د. مصطفى حلمي .
٣٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، ج١-٢، المكتب الإسلامي، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج٣ مكتبة المعارف، ط الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج٤ المكتبة الإسلامية مع مكتبة المعارف، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، ج٥ مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٣١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، ج١، المكتب الإسلامي، ط الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج٢، المكتبة الإسلامية، عمان، ومكتبة المعارف بالرياض، ط الثالثة، ١٤٠٦هـ، ج٣، مكتبة

- المعارف، ط الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٤، مكتبة المعارف، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٢. سنن أبي داود، ت/ عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
٣٣. سنن ابن ماجه، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مصورة، المكتبة العلمية، بيروت.
٣٤. سنن الترمذي "الجامع الصحيح"، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الجزء الأول والثاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الجزء الثالث، وإبراهيم عطوة الجزء الرابع والخامس، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. وطبعة أخرى من الكتاب ت/ بشار عواد معروف، دار الجيل بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط الثانية ١٩٩٨م.
٣٥. سنن الدارمي، تحقيق فؤاد أحمد زمزلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٦. السنن الكبرى للنسائي، ت/ عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣٧. سنن النسائي، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به ورقمه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بجلب، ط الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٣٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط. ٦١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣٩. سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت/ مجموعة من الباحثين، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط السادسة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٤٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٤١. شرح صحيح مسلم للنووي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٢. صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان)، ترتيب ابن بلبان، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- ٤٣ . صحيح مسلم ، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة مصورة من الطبعة السلفية، دار الفكر.
- ٤٤ . صفة الصفة لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ، حققه وعلق عليه محمود فاحوري ، دار الوعي حلب ، بدون تاريخ .
- ٤٥ . الصلة بين التصوف والتشيع ، د. كامل الشيباني .
- ٤٦ . الصوفية الغزو المدمر (قديماً وحديثاً) ، أحمد بن عبد العزيز الحصين ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط. ٣. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ٤٧ . الصوفية الوجه الآخر ، الدكتور محمد جميل غازي ، إعداد عبد المنعم الجداوي المركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة ، القاهرة، بدون تاريخ .
- ٤٨ . الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبد وطارق عبد الحليم ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، ط. ٤. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- ٤٩ . الضياء اللاتح في مناقب القطب الواضح ، الشيخ أحمد الطيب بن الشيخ البشير ، تأليف الأستاذ عبد المحمود نور الدائم الطيبي السماني ، رابطة شباب السمانية ، بدون تاريخ .
- ٥٠ . الطبقات الكبرى ، لعبد الوهاب الشعراني ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ٥١ . ظهور خلافة العثمانيين وسقوطها في مصر (التاريخ السياسي) ، د. عبد المنعم ماجد دار المعارف ، مصر ، الإسكندرية ، ط. ١٩٦٨م .
- ٥٢ . العقد الثمين في بيان مسائل الدين ، علي بن محمد بن سعيد بن عبد الله السويدي ت ١٢٣٧هـ ، تحقيق وتعليق: صالح بن محمد العيدان ، إشراف راشد بن حمد الطيار ، رسالة ماجستير عام ١٤١٩هـ ، جامعة الإمام ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .
- ٥٣ . الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ت/ محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، (ست مجلدات).
- ٥٤ . الفرق بين الفرق، للبغدادي، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث.

- ٥٥ . الفكر الشيعي والترعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري ، د. كامل الشيبلي ، مكتبة النهضة بغداد ، ط. ١ ، ١٣٨٦هـ — ١٩٦٦ م .
- ٥٦ . الفكر الصوفي المعاصر وأثره الثقافي في مصر — دراسة وتقويم — ، ت : عبد العزيز بن محمد القشعمي ، إشراف : عبد الله بن إبراهيم الطريقي ، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود .
- ٥٧ . الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبد الرحمن عبد الخالق ، دار الحرمين للطباعة ، القاهرة ، ط. ٤ ، ١٤١٣هـ — ١٩٩٣ م .
- ٥٨ . فلسفة الحياة الروحية : منابعها ، ومشاربها ، ونشأتها ، ونشأة التصوف والطرق الصوفية ، ت : د. مقداد يالجن ، عالم الكتب ، ط. ٢ ، ١٤١٠هـ — ١٩٨٩ م .
- ٥٩ . القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧ م.
- ٦٠ . الكاكائية في التاريخ ، عباس العزاوي ، شركة التجارة ، بغداد ، ط. ١ ، ١٣٦٨هـ — ١٩٤٩ م .
- ٦١ . الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، محمود عبد الرؤوف القاسم ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، ط. ٢ ، ١٤١٣هـ .
- ٦٢ . لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- ٦٣ . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب/ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طبعة مصورة، مكتبة ابن تيمية.
- ٦٤ . مجموعة فتاوى ابن تيمية خمس مجلدات، طبعة مصورة، دار الفكر، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣ م.
- ٦٥ . المدخل إلى التصوف الإسلامي ، السيد محمود أبو الفيض المنوفي .
- ٦٦ . المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبه ، الدار السلفية ط. الأولى ١٣٩٩هـ ، وطبعة أخرى دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط. الأولى ١٤١٦هـ — ١٩٩٥ م .

٦٧. المصنف، لعبد الرازق، ت/ حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٦٨. مظاهر الانحرافات العقديّة عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٦٩. مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية (البطائحية)، قدم لها وعلق عليها: عبد الرحمن دمشقية، دار طيبة، الرياض، ط. ١، ١٤٠٨هـ.
٧٠. المنحة المحمدية في بيان العقائد السلفية، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد السلام خضر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط. ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٧١. منهاج السنة النبوية، لابن القيم، ت/ محمد رشاد سالم، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٧٢. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، لأحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ، مكتبة المثنى بغداد طبعة مصورة.
٧٣. موقف الإمام ابن القيم من الصوفية، مصطفى مراد، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة ط. ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٧٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط. الأولى، ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م.
٧٥. هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط. ٤، ١٩٨٤م.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	العنوان
٢	المقدمة
٣	الفصل الأول: الصوفية وألقابها
٤	المبحث الأول : تعريف التصوف وألقاب الصوفية
٧	المبحث الثاني : نشأة التصوف
٩	المؤثرات الخارجية
١٢	وقت اشتهاار لفظ الصوفية
١٨	الفصل الثاني: نشأة بدع الصوفية
١٩	المبحث الأول : مراحل بدع التصوف
٢٥	المبحث الثاني : نشأة بدع الصوفية
٢٨	الصوفية المعاصرة
٣٢	المبحث الثالث : أهم بدع الصوفية ونشأتها وبيان بطلانها
٣٣	المطلب الأول : قصد القبور وتعظيمها
٤٢	أسباب ضلال عبّاد الأضرحة
٤٤	المطلب الثاني : تتبع أماكن الأنبياء والصالحين وآثارهم
٥٢	المطلب الثالث : بدعة السماع
٥٩	المطلب الرابع : بدع الذكر
٧٠	المطلب الخامس : بدعة الاحتفال بالمولد
	المطلب السادس : بدعة التشديد على النفس والامتناع
٧٧	عن المباحات
٨١	المطلب السابع : بدع شعائر التصوف

٨٦	الفصل الثالث: أول بدع التصوف، من بعض عباد الكوفة، وبعض عباد البصرة
٩٧	الفصل الرابع: بذور التصوف الطريقي في القرن الثالث
٩٨	المبحث الأول: بداية حدوث الطرق الصوفية
١٠٤	المبحث الثاني: أسماء بعض الطرق الصوفية
١١٠	المبحث الثالث: أهم الطرق الصوفية المعاصرة
١١٢	الخاتمة
١١٣	قائمة المصادر والمراجع
١٢١	الفهرس